16 ème Année No. 796

Lundi — 4 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٩٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٤ اكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مصرع برنادوت ...

للأستاذ نقولا الحداد

لو كانت الرصاصة التي صرعت برنادوت عربية لقل العجب ، لأنه كان مع اليهود على العرب . ولكن حاشا للعربي أن يغدر . حاشا للعربي أن يقتل من لا يهاجمه . حاشا للعربي أن يقتل أعزل أو شيخاً أو طفلا أو امرأة . لا يمكن العربي أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهودياً !

كان العرب يحمون برنادوت وهو فى ديارهم ، ولقد كان النقراشي باشا يبث العيون من حوله لوقايته من غدر اليهود الخونة وهو فى مصر .

برنادوت خدم اليهود : أيد التقسيم وغض النظر عن السلاح الذى كان يهرب إلى تل أبيب ، وغض النظر عن المهاجرين اليهود الذين كانوا يتسربون إلى فلسطين ، وغض النظر مئة مرة عن خرق اليهود للهدنة !

رحمه الله ! حابى اليهود كثيراً ! ولكن اليهود كانوا يريدون أن يكتب فى تقريره بأن كل فلسطين وشرق الأردن هما حق حلال لليهود ! فلم يكتب هكذا فقتلوه !

كان يريد تجريد بيت المقدس من السلاح ، وهم يريدونه عاصمة دولة إسرائيل فقتلوه ! كانوا يريدون مرفأ حيفا مفتوحاً على مصراعيه ، وهو يريد إقفاله ريثما تسوى مسألة فلسطين فقتلوه ! كانوا يحرمون عليه أن يبعث بتقرير عن نقضهم للهدنة إلى مجلس الأمن ، فلم يستطع أن يمتنع فقتلوه ! كانوا يريدون أن يخرج من فلسطين على الإطلاق ، فلم يجرؤ أن يترك المهمة التي انتدب لها فاغتالوه ! لماذا ؟ لأنه لم يكن يستطيع أن يملكهم كل فلسطين ! ما كان يجوز أن يفعله العرب ببرنادوت لأنه أوثقهم بالحبال والحديد فعله اليهود !

إن هؤلاء الأوغاد لم يعودوا يقنعون بحصة من فلسطين ، بل صاروا يطمعون فيها كلها وبشرق الأردن معها وبسائر بلاد العرب كلها . فلما مرت طائرة عربية من لبنان إلى عمان تعقبوها وأسقطوها على الرغم من أن قائدها أبلغهم باللاسلكي أنه ينقل ركاباً مدنيين ، وكان بظنهم من رجال هيئة الأمم الرقباء قد أخطأوا فحاول أن يصحح خطأهم ، ولكنهم كانوا أرذالا يقصدون الشر مجاناً . فحطموا الطيارة وذهب ضحيتها صحفيان ، ولا ندري ما ذا يكون حكم الصحف التي يمثلانها ؟ !

لقد ثبت أن تقرير برنادوت كان أصلح لليهود من قرار التقسيم ولكن اليهود توحشوا فلم يعودوا يقنعون بتقسيم فلسطين ، وإنما يطمعون فى كل موضع يحتلونه ، وخاصة بعد ما رأوا أن الدولة الثملة العظمى قد انقلبت من الحياد الساكر إلى جانب التقسيم الصريح ، فقوى طمعهم حتى فى مصر ، فصار النتاج منهم ذئاباً ! ذلك أن إرهابيين تسللوا من صهيون إلى مصر وجعلوا يلقنون هؤلاء النتاج العزرائيين دروس الإرهاب والخطف والغدر

والتحدى ، فخطفوا ثلاثة من رجال البوليس وحبسوهم فى معبدهم بحارة اليهود . وجرؤ بعضهم فأطلقوا المسدسات على الحكدار !

هذه جراءة لم نعهدها من جبناء اليهود الأنذال قبل اليوم !

فما ذا جد حتى صارت لهم هذه الجرأة والوقاحة ؟ !

لعل وحياً جاءهم من قصر شايو فى باريس أن دولة عزرائيل صارت سيدة دول الشرق فتنمروا وتنمردوا !

وإذا كانوا الآن — ولا دولة لهم — يستفحل أمرهم وشرهم هذا الاستفحال ، فما ذا عسى أن يكون إن صارت لهم دولة — لا سمح الله — وصار لهم سفير فى مصر وقنصل وبنك ، وصار لهم حاضرة أنيقة على ظهر جبل المقطم ، وصارت موطن ملاه ولعب ورقص وشرب ونصب ، وكان فيها حسان يلعبن بقلوب الكهول والفتيان ، ويستخدمن نفوذ الأكابر والأعيان ، فإذا بلغوا هذا المبلغ ، فأى حال يكون حالهم ، وعلى أى شكل يتغطرسون ، وفى أى واد يهيمون ، وفى أى سماء يسبحون ، وقانا الله شر هذا الفجور !

ترى هل تقتص حكومتنا السنية من هؤلاء الأرذال المتحصنين فى حارة اليهود القذرة ؟ وتؤدب هؤلاء الأنذال وتقى المدينة شرهم وتقمع فتنتهم ، فهم على قلتهم وضعفهم قد أنشأوا فيه حكومة لهم فى حارتهم الحقيرة وأقاموا لهم فيها حرساً يمنع مرور الناس ، وإن غلط أحد المارة ودخل معقلهم الحقير (بهدلوه) واعتقلوه وضربوه وربما قتلوه ! !

وهم على ضعفهم أشعلوا ثورة كادت تنتشر كالنار فى الهشيم ، وهم مسلحون بالأسلحة الحديثة وبالقنابل والمفجرات لا يهابون قانوناً ولا يخشون بوليساً ولا يوقرون حكومة !

فإذا كانت الحكومة لا تحرم عليهم صنع المفجرات حتى على الصبيانية منها ، ولا تطرد الخطرين منهم ، كانوا خطراً على الأمن ومبعثاً للقلاقل فى البلاد !

نرجو ألا تغض الحكومة النظر عنهم كما غضت هيئة الأمم النظر عن قتلة برنادوت !

لقد قتل برنادوت ودفن جسمه واسمه ، ودفنت معه هيبة هيئة الأمم ، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً . وقد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع ، وعادوا يفعلون ما يروق لهم ولا يحسبون حساباً للعواقب ، لأن الأمر الواقع ينفى كل عاقبة !

ولقد كان ذنبنا العظيم أننا لم نجنح إلى الأمر الواقع ولا عرفنا كيف نستفيد منه !

لو ألفنا حكومة عربية لفلسطين من أهل فلسطين منذ أعلنت انكلترا الفعلية أنها ستلغى انتدابها فى أول مايو — لو ألفنا حينئذ الحكومة العربية ، وجعلنا مكانها فى مصر أو الشام أو بغداد كما فعلت بلجيكا وهولاندا وزوج فى الحرب الأخيرة من كان يمنعنا لو كان لفلسطين حكومة عربية — أيما كانت — من أن تحتل فلسطين فعلا حالما تركتها انكلترا ؟

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله ، كانوا كلما ترك الإنجليز موضعاً احتلوه هم ، ولو كانت حكومة فلسطين العربية الحرة قائمة لكانت أسبق إلى احتلال حيفا من اليهود .

نعتب على الإنكليز أنهم أخلوا حيفا لليهود ، فهل كانت حكومة فلسطين على استعداد لاحتلال حيفا ومنعها الإنكليز ؟

احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنكليز ، ونحن لم نستطع أن نحمى نساءنا وأطفالنا ، فقتك بهم أولئك الذئاب ، وفر من استطاع أن يظفر بالسلامة ! فحتام يا قوم نتبع سياسة التوانى ، ونعرض عن سياسة الفرصة السانحة ، والضربة السابقة ، والأمر الواقع ؟ !

نقولا الحداد

اطلب كتاب

أنـــات غريب

مجموعة من روائع القصص

للأستاذ حبيب الزحلاوى

بطلب من المكاتب الشهيرة

مصر والعـــالم

في القرن الثالث عشر الميلادي

للأستاذ عطيه الشيخ

تفتش بوزارة المعارف

كنانة الله :

أيها المصري الكريم ! إذا ادلهمت حولك الخطوب ، واكتنفتك المحن ، وطمع الانجليز في جنوب واديك ، وكشر الصهيونيون عن أنياب غدرهم في فلسطين ، وملأت هيئة الأمم ظلم أعدائك وأهملت حقك ، فلا يهولنك الأمر ولا ترع ، فمن قبل هذه الأقوام كانت أمتك تحتضن الدهر وهو غلام ، وتعلم الشعوب وهم رعاع ، وتحمل مشعل العلم والمدنية والناس جميعاً في ظلام ، ثم قامت عروش ، وتكونت دول ، وبادت أمم ، وتغيرت خرائط العالم مرات ومرات ، ومصر هي مصر ، كنانة الله في أرضه ، وجامعة المبادئ الفاضلة ، وملاذ المدنيات وقبلة العالمين . اقرأ إن شئت ما قامت به مصر في القرن الثالث عشر الميلادي وحده ، لتعلم كم لبلادك العزيزة من أياد على الناس أجمعين ، وأنها بحق كنانة الله في أرضه .

أمة تتحطم :

جاء القرن الثالث عشر الميلادي والخلافة العباسية في بغداد تحتضر ، ويقوم بالحكم الفعلي في أرضها « الأتابكة[1] » وهم أمراء سلاجقة ، تقسموا الدولة بعد موت ملك شاه سنة ١٠٩٢ ميلادية . هذا في الشرق ، وأما في الغرب : فكانت مدن الأندلس تتساقط تساقط أوراق الخريف أمام عجلات الأسبان حتى سقطت « قرطبة » نفسها ١٢٣٦ م وكانت دولة الموحدين في الشمال الإفريقي قد آذنت بزوال ، كما كانت سواحل بلاد الشام جميعها لا تزال في أيدي الصليبيين بعد أن استرد صلاح الدين الأيوبي مدنهم الداخلية ، أما في مصر فكان سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك يحكمون من القاهرة مملكة قوية ، تضم في معظم أيامها مصر ، والنوبة ، واليمن ، وبرقة ، وأكثر بلاد الشام وفلسطين ؛ وتمتد ملكها من الأناضول شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، ومن الفرات شرقاً إلى تونس غرباً . وتعاقب على العرش في هذا القرن الملك العادل أخو صلاح الدين « ١١٩٨ — ١٢١٩ » ثم الصالح أيوب بن الكامل « ١٢٣٨ — ١٢٤٩ » ثم شجرة الدر زوجة الصالح ، وابنه نوران شاه « ١٢٣٩ — ١٢٥٠ » ثم انتهى سلطان الأيوبيين وورثهم المماليك « ١٢٥٠ — ١٥١٧ » وكانت مصر في هذا القرن أقوى أقطار الإسلام لاتساع مُلكها ووفرة خيراتها ، وما انضوى تحت لوائها من ممالك وأمصار ، ولما في عنصر هذه الأمة الكريمة من حيوية يشيب الدهر من حولها ولا تزال أبداً فتية ، ولأن حكامها آنذاك ، من أيوبيين ومماليك ، كانوا قواداً عسكريين ، قبل أن يكونوا ملوكاً حاكمين نبتوا في كنف المعارك ونشأوا تحت ظلال السيوف .

أعظم نكبة :

كان أعداء الإسلام في ذلك القرن ثلاثة : هم الصليبيون ، والمغول ، والحشاشون .

(١) الصليبيون : قضى المسلمون القرن الثاني عشر كله في جلاد مرير مع الصليبيين ، تزعمه عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ، وانتهى القرن الثاني عشر ومات صـــلاح الدين الأيوبي ١١٩٣ ، ولا يزال الصليبيون يملكون سواحل الشام من أنطاكية إلى غزة ، وقد علمتهم حروب صلاح الدين أنهم لا يستطيعون الاستقرار في بلاد الشام ما دام في مصر دولة قوية ، فوجهوا غزواتهم في القرن الثالث عشر إلى مصر ليفتحوها بعد القضاء عليها ، وبذلك يؤمنون مملكة أورشليم . وكانت أول حملة صليبية على مصر في هذا القرن « ١٢١٨ » بقيادة « جان دي برين » واستولوا على دمياط ، وأخذوا يزحفون على القاهرة ، فمات الملك العادل حزناً ، وترك أمر الدفاع لابنه الملك الكامل الذي ورث البطولة عن أبيه وعمه (صلاح الدين) ، فأقام الاستحكامات في المكان الذي سمي فيما بعد بالمنصورة ، وجاءته النجدات من اليمن والشام ، والمتطوعة من سائر البلاد الإسلامية ، وانتهز فرصة فيضان النيل ، فقطع الجسور ، وأحاطت المياه بالصليبيين ، ورأوا استماتة المصريين

(١) الأتابكة : جمع أتابك . ومعناها في التركية الأمير القائم

فى الدفاع ، فطلبوا الصلح وانقلبوا خائبين سنة ١٢٢١ م .

وفى سنة ١٢٢٨ م . استطاع فردريك (أمبراطور ألمانيا وملك جنوب إيطاليا وزوج ابنة قائد الحملة السابقة جان دى برين) بحسن حيلته وبما اشتهر عنه من حب الإسلام والمسلمين ، استطاع أن يعقد مع الملك الكامل اتفاقاً على أن يعطى بيت المقدس بشرط أن يحتفظ المسلمون فيها بأماكنهم المقدسة ، وأن يساعد « فردريك » « الكامل » على أعدائه ، وأن يمنع النجدات الأوربية عن الإمارات الصليبية الباقية فى سواحل بلاد الشام ، كطرابلس ، وأنطاكية . وقد أنكر هذا الاتفاق المسلمون أشد الإنكار ، لأنه أخرج بيت المقدس من أيديهم ، كما أنكره الصليبيون لأنه حرمهم سُبل النجدات الأوربية ، وتركهم فرادى فى بلاد الشام ، يحيط بهم المسلمون إحاطة السوار بالمعصم . وقد برهن الزمن على بُعد نظر الملك الكامل إذ حفظ بهذه المعاهدة مصر من الغزو ، وكانت أمل الإسلام والمسلمين فى هذا القرن ، واستطاع الصالح أيوب بن الكامل أن يسترد بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م وأحرق أحياءها الصليبية .

ثارت أوربا لعودة القدس إلى كنف الإسلام فجاءت حملة صليبية بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، واحتلت دمياط سنة ١٢٤٨ م . فعسكر المصريون فى قلعة المنصورة ، وكان الملك الصالح يقود الجيش محمولا على محفة لمرضه ، واستنجد بالمسلمين فجاءوه من كل مكان ، حتى اكتظت المنصورة بالعسكر ، ورابط الأسطول المصرى فى النيل تجاهها ، ولواؤه معقود « لبيبرس » ثم اشتد المرض على الملك فمات فى نوفمبر سنة ١٢٤٩ ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، وحملته فى تابوت سراً إلى القاهرة فى جنح الظلام ، وإمعاناً منها فى الإخفاء ، كانت تمد سماط السلطان كالعادة ، وتوقع باسم السلطان على ما تصدره من أوامر ، توقيعاً مشابهاً خطه ثهارتها فى الكتابة ، وأخذت البيعة لابنه « توران شاه » على الأمراء والقواد ، وأرسلت تستدعيه من الشام سراً . مع كل هذه التحوطات من شجرة الدر ؛ علم الأفرنج فى دمياط بموت الملك ، فرحفوا إلى الجنوب براً وبحراً ، واستولوا على فارسكور ، ووصلوا المنصورة فى ديسمبر سنة ١٢٤٩ يفصل بينهم وبين المصريين بحر أشموم[1] « البحر الصغير » وبدأت المناوشات

(١) كان هذا البحر يصل بين النيل شمالى المنصورة بنحو أربعة أميال وهو الذى اعترض الزحف الفرنسى لقد وجزد بسر عليه

وكان المسلمون ينفردون بمعرفة أسرار النار الإغريقية فأصلوا الفرنج بها براً وبحراً ، ولم يستطع « لويس » بناء جسر على البحر الصغير ، ولكنه وقف من خونة بلدة سلامون « غير المسلمين » على مخائض فى البحر الصغير ، فعبرته فرقة كبيرة من جيشه إلى بر المنصورة ، وفاجأت المصريين على غير استعداد منهم ولا علم ، فقتل القائد المصرى ووصل « الصليبيون » إلى أبواب « القصر (١) السلطانى » وشجرة الدر تدير المعركة بجأش رابط فأصدرت أمرها لرجال الأسطول ، فأسرعوا بقيادة بيبرس ، وكانوا نحو ألف ، وأطبقوا على الفرنج ومزقوهم شر ممزق ، وقتلوا زهرة شبابهم ، فلم يستطع الإفلات منهم إلا القليل . وكانت واقعة المنصورة هذه فى فبراير سنة ١٢٥٠ ، وبعد عشرة أيام منها وصل توران شاه إلى الصالحية ، فأعلن وفاة الملك الصالح لأول مرة ، وسلمت إليه مقاليد الملك ، بصفة رسمية ، ثم جاء إلى المنصورة وتسلم من شجرة الدر القيادة ومقاليد الأمور . وكان الصليبيون لا يزالون معسكرين بجدبلة ، فى العدوة الأخرى من البحر الصغير ، والمؤن تأتيهم من دمياط بطريق النهر ، فصنع المصريون سُفناً حملوا أجزاءها على ظهور الجمال ، وأنزلوها فى البحر بعد تركيبها قريباً من دمياط ، لتقطع الطريق على جيش الفرنجة ، فقامت بعملها خير قيام ، واشتد الأمر على الصليبيين وساءت حالتهم ، ودب إليهم الجوع والوهن ، وكانت النيران التى تطلقها عليهم حراقات المسلمين تزيد كربهم . فطلب « لويس التاسع » المفاوضة ، ولكن المصريين لم يقبلوا ، فأخذ ينسحب بجيشه فى جنح الظلام ، ولم يدر أن عيون المصريين منه بالمرصاد ، فطاردوه طيلة ليله ، ولم يسفر الصباح حتى أحاطوا بجيشه براً وبحراً قرب فارسكور ، وهزموه شر هزيمة ، وقتل من جيشه ثلاثون ألفاً غير من غرق منه فى النهر . ولجأ الملك هو وخمسون من خاصته إلى قرية « منية أبى عبد الله » . « ميت الحولى عبد الله » ، وطلب الأمان لنفسه ، واعتقل بالمنصورة فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان ، وأرسلت البشائر إلى جميع الأنحاء نذكر منها على سبيل المثال رسالة توران شاه إلى نائبه بدمشق

(١) ثبت لدى بالخبرى وأيدنى فى ذلك ابن المنصورة الكريم الأستاذ الجليل « على بك الفاكهى » أن ذلك القصر كان يقع فى المكان الذى تقوم فيه الآن « مدرسة البنات الأولية والفنون الطرزية » « ورشة مرمخ سابقاً » .

« يبشر المسلمين كافة بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، وبئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من رحمة الله وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، وخلقاً لا يعلمهم إلا الله .

فلما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، وما زال السيف يعمل فى أدبارهم عامة الليل ، وقد حل بهم الخزى والويل ، فلما أصبحنا قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى بنفسه فى اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيس « الملك » إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه ، وقتلنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته .

وقد خلد الشاعر ابن مطروح ما حل بهذه الحملة فى قصيدته التى منها .

قل للفرنسيس إذا جئتـــه ... مقال نصح من تقول فصيح
أجرك الله على ما جرى ... من قتل عباد يسوع المسيح
سبعون ألفاً لا يرى منهم ... إلا قتيل أو أسير جريح

تخلصت مصر من هذه الحملة . ولكن مهمتها التاريخية لم تنته بعد ، إذ كان الصليبيون لا يزالون يمتلكون سواحل بلاد الشام ، فأخذ الظاهر بيبرس بعد أن تبوأ عرش مصر ينازلهم ، حتى استولى منهم على « صفد ويافا وأنطاكية » ثم جاء السلطان خليل بن قلاون من بعد ، وحاصر « عكا » وضيق عليها الخناق ففتحها سنة ١٢٩١م ولم ينج من حاميتها أحد ، وأحرق المدينة ، فدب الخور فى قلوب الباقين من الصليبيين ببلاد الشام ، ولاذوا بالفرار ، مخلفين وراءهم قلاعهم وحصونهم ، وخلصت مصر المسلمين من شرور الصليبيين الذين دفعهم نصب البابوات إلى هذه الحرب الطاحنة التى استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وعاد السلطان خليل إلى القاهرة يسوق أسرى الفرنج مكبلين ، وأعلامهم من خلفهم منكسة ، ورءوس قتلاهم على أسنة الحراب (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

(ب) المغول : فى أوائل القرن الثالث عشر خرج « جنكيز خان » من أواسط الصين على رأس جيش من المغول ، وهجم على بلاد الإسلام ، فاستولى على التركستان ، وخراسان ، والهند وخرب مدنها سنة ١٢١٩ ، وعاد إلى بلاده بعد أن ترك البلاد التى فتحها فى أواسط آسيا وجنوبها قفراً بلقعاً ، ثم غزا خلفاؤه بلاد فارس والعراق ، ولم تأت سنة ١٢٥٨ حتى كان « هولاكو » عامل المغول على فارس ، قد استولى على بغداد ، وأزال ملك العباسيين وقتل الخليفة المستعصم وأفراد أسرته وعشرات الألوف من البغداديين ، فى مناظر هائلة ، ومشاهد مروعة ، من التدمير والتخريب ، وتابع سيره نحو الشام كالسيل الجارف ، والريح العاصف ، فاستولى عليها فى سرعة البرق ، وأرسل إلى مصر رسالة تهددها فيها بالغزو إن لم تخضع وتسلم ؛ وكان على عرش مصر إذ ذاك المملوك « قطز » الذى قابل رسالة هولاكو بما تستحقه فمزقها ، وقتل رسله ، وكان هذا الرجل المجاهد قد أعلن المصريين أنه لم يتبوأ العرش إلا لتخليص البلاد من المغول ، وأنه سيترك الملك بمجرد الانتصار عليهم ، فسار بجيشه لملاقاة التتار ، وقابلهم على مقربة من بيسان فى موقع يسمى « عين جالوت » ولأول مرة ذاق المغول على يد المصريين هزيمة منكرة فروا على أثرها هاربين إلى ما وراء نهر الفرات ، واستطاعت مصر أن تؤدى رسالتها التاريخية فى حماية المدنية الإسلامية .

ولما تولى عرش مصر « الظاهر بيبرس » بعد قطز أخذ يعمل على إعادة الخلافة العباسية ، وإرجاع المغول إلى ديارهم .

ولتحقيق الغرض الأول ، استدعى أحد أبناء العباسيين إلى القاهرة ، ونصبه خليفة ، ولقبه « المستنصر بالله » وبقيت هذه الخلافة العباسية فى مصر حتى فتحها العثمانيون .

ولتحقيق الغرض الثانى سار على رأس جيش كبير وعبر نهر الفرات على ظهور الخيل ، وأوقع بالمغول هزيمة شنيعة ، وطاردهم من تلك الأصقاع .

يئس المغول من التغلب وحدهم على مصر ، فأخذوا يراسلون (بابا) روما ، وملوك أوربا ، لإرسال حملة صليبية ، تشاركهم فى محاربة المصريين ، وكان ذلك فى أيام السلطان « قلاوون » « ١٢٧٧ — ١٢٧٠ » فسار إلى المغول وهزمهم هزيمة منكرة عند « حمص » لا نقل عن هزيمتهم فى « عين جالوت » كما أن السلطان خليل بن قلاوون قد حارب المغول واستولى على كثير من قلاعهم ، وبذلك قضى على الخطر المغولى المهدد لمصر قضاء تاماً .

طاغـــور وغاندى
بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة)

لم يجد غاندى فى مقاطعة الهند للغرب وعدم تعاونها معه ما يستوجب فزع طاغور وخوفه على الوحدة العالمية ، لأن مساوئ الحضارة الغربية وضلالاتها ، واستعمار الغربيين البغيض للشعوب الضعيفة ، واستغلالهم الشره لمواردها الطبيعية ، يزهد الهند من ناحية فى أن تقيم أية علاقة تربطها بهذا الغرب المادى الطاغى ما دام التعاون معه يعرضها لأخطار مدنية لا تعرف إلا صالحها ، ويعطى فرصة للدول الاستعمارية لأن تستغل مواردها المتنوعة من دون الشعب صاحب الحق فى الاستفادة منها ، ويجبرها من ناحية أخرى على أن تعتزل العالم ، وتقطع علاقاتها بتلك الأمم التى تفسد عليها حياتها المادية والمعنوية ، وعلى أن تستغنى عن خدمات الغرب وتعتكف فى نفسها تستجمع قواها وتجدد نشاطها وتبعث مواهبها وتشحذ ملكاتها ، وتنهض بمستوى الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية ، وتخلصه من الجهل والبؤس والخوف ، وتسمو بنزعاته الخلقية ، فيقدر أن يقوم بواجبه نحو الهند والهنود . وحينئذ فقط يطالب من الهند أن تساهم فى تأسيس الدولية العالمية ، وأن تفنى فى العالم ، لأن الشعب المتحد القوى المثقف أقدر على تكوين هذه الوحدة من الشعب المفكك الجائع الجاهل الخائف . ومن صالح الهند والإنسانية جميعاً أن تعيش الهند لنفسها أولا ، حتى تتحد وتتقوى مادياً ومعنوياً ، وتتطهر من كل نقص وضعف قبل أن تبذل أى جهد فى خدمة الإنسانية ، أو تسعى لأن تلاشى كيانها فى العالم .

وكان غاندى مخلصاً لمبادئه ، فشجع الهند على أن تعتمد على نفسها فى رقيها ، حتى لا تأخذ من الغرب شيئاً . وعمل على أن يتبع الهنود نفس الأساليب الاقتصادية الهندية القديمة لتدعيم الحياة الهندية المادية ، واهتم بأن يستعينوا بالثقافات الأسيوية التى

(ح) الحشاشون أو الباطنيون : أسس مذهبهم الحسن الصباح فى أوائل القرن الثانى عشر ، وكونوا فرقة إرهابية فى بلاد الإسلام ، لها حصون ومعاقل منيعة ، تمتد من خراسان إلى سواحل بلاد الشام ، وتعيث فى الأرض فساداً ، وكانوا كما يقول أحد المؤرخين « أداة رائعة للقدر كالوباء والحرب ، كارثة على الملوك الضعفاء والشعوب المنحلة » .

وكم سفكوا من دماء بريئة ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وتآمروا بملوك وسلاطين مع ترويج لعقيدتهم الزائفة التى يقول فيها الإمام الغزالى « مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم ، فى قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات ، ويتطرق إليه النظار من الخلافات ، وإيجاب طلب الحق بطريق التعليم والتعلم ، وأن كل زمان فلا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستهم من الدين . والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفع الحجاب ، واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإسكار الشرائع » .

اتخذ هؤلاء الأشرار عاصمتهم (حصن مصياب) فى بلاد الشام بالقرب من طرابلس ، وحاولوا غير مرة قتل صلاح الدين وتحالفوا مع الصليبيين على المسلمين ، وظلوا فى شرورهم المادية والمعنوية ، عوامل هدم للدنيا والدين ، إلى أن سير الظاهر بيبرس حملة إلى بلادهم سنة ١٢٦٩ حاصرت قلاعهم واقتحمتها وفتحت (حصن مصياب) ومزقت الباطنية كل ممزق ، فانهار نفوذهم ، وأصبحوا شرازم لا أهمية لها ، وانتهى على يد المصريين أمرهم ، وطهرت الدنيا من أرجاسهم .

أيها المصرى الكريم ! هذه أعمال بلادك فى قرن واحد ، سحقت جيوش المغول الدمرة ، وحملات الصليبيين الجائرة ، وخزعبلات الباطنية الفاجرة ، منتصرة بذلك على كل ما فى آسيا وأوربا ، من جند وعدة وعتاد ، فهل يحاصرك بعد الآن شك فيما ينتظر بلادك من مجد ، وما سيلاقيه الصهيونيون من هول وذل . أرجو أن تكون مطمئنا بالمستقبل ، عالماً أن مصر كالهرم والقطم والنيل ، تقوض العروش وتزول الدول ، وهى هى تفنى الفناء وتحيى العياء .

عطيه الشيخ

سرت بالهند فى ابتكار حضارة روحية هندية فنية تصون مقومات الهند وتخلو من مفاسد المدنية الغربية . فرد أولا على لوم طاغور فى اتخاذ الهنود المغزل اليدوى وسيلة للتكسب بأن ملايين الهنود يوشكون أن يموتوا جوعاً لأنهم لا يجدون عملا يرتزقون منه . فالفقر هو الذى أرغم الهند على أن تستخدم المغزل العتيق كوسيلة تكفل العيش لشعب فقير . بينما كان ما ينادى به طاغور من ضرورة تمسك الشعب بتعاليم الدين وسعيه فى تحقيق ذاته حتى يتجلى الله فى القلوب ، لا يمكن أن يشبع جائعاً ، وأن الله لن يتجلى لشعب يتضور جوعاً إلا فى صورة العمل والطعام الذى يتقاضاه أجراً عن هذا العمل ، فإن أناشيد طاغور الشاعرية الدينية لا يمكنها أن تسكن آلام الجائعين أو تغنيهم عن عمل يستطيعون به أن يجدوا ما يأكلون .

إن المغزل هو الذى ينقذ الهند من قسوة الفقر وآلام الجوع ويمهد لاستقلال حياة الهند الاقتصادية ، ويغنى الهنود عن خدمات الغرب المادى الجشع ، فعلى طاغور أن يغزل مثله فى هذا مثل أى هندى ، ولا يعارض ، لأن الغزل والنسج فريضة دينية يشرعها الواجب الوطنى على الهنود .

ورد غاندى ثانياً على نعت طاغور الهنود بضيق الأفق وضعف المدارك لتحيزهم السقيم للثقافات الآسيوية بأنه لا يمانع فى معرفة الشعب الهندى لأية ثقافة كانت ، ويود لو تترك دراسة جميع الثقافات حرة فى الهند سواء أكانت آسيوية أم غربية من غير أن تحاول ثقافة من الثقافات أن تفرض سيادتها على الثقافات المحلية ، وتدعى الرقى والرفعة ، وتقضى على كل ثقافة تنافيها ، وتزعم أنها تحاول أن توجد ثقافة موحدة ، وتتحكم فى الحياة الثقافية فى البلاد . فالمستعمر الإنجليزى يلزم الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ويتهاون فى تعليمهم لغات البلاد ، ويضع لهم برامج ثقافية جميع موادها العلوم الغربية وتغفل الثقافات الآسيوية وهى أحق بالأولوية من دراسة أى ثقافة غربية ، لأنها تلائم المزاج الهندى ، وتعرف الهنود مواضع القوة فى روحهم ، وتساعدهم على تأسيس ثقافة جديدة حية تعبر بصدق عن التفكير الهندى . فما أمر غاندى بمقاطعة الثقافة الغربية إلا ليعطى فرصة للثقافات الآسيوية لأن تثبت وجودها فى الحياة التعليمية فى الهند ويحمى اللغات القومية والتراث الوطنى من الضياع والنسيان

* * *

لم أقصد من عرض مناقشات طاغور وغاندى حول تآزر الغرب والشرق أو عدمه أن أقف بينهما حكما أفضل عالمية طاغور على وطنية غاندى ، أو أوازن بين واقعية غاندى ومثالية طاغور . وإنما قصدت أن يستفيد العالم العربى ، وهو فى ظروفه الحاضرة المليئة بغيوم الشك وسحب الارتياب ، من غدر الغرب وسوء نيته ، وأن أرجع بالأذهان مجادلة بين شرقيين عربيقين فى الروحية أحسا بما نشعر به من انفعالات نحو الغرب ، أحسب أنها تفيدنا فى وضع خططنا العامة الدولية . فطاغور المفكر الإنسانى قد بين للشرق ما يجب أن يصبغه من روحية على ما يأخذه من الغرب من علوم وفنون وجد ونشاط ، وما يجب أن ينبذه من مادية وأنانية وحب للسيطرة وإمعان فى الإباحية واستهتار بالقيم الروحية . فلو سرنا على هديه لأخذنا من الغرب زبده ، وتركنا أوساخه وأقذاره ، ونهجنا السبل القديمة فى تكوين حضارة جديدة طاهرة تؤسس على روحية الشرق ونبوغ الغرب فى العلوم والفنون ومهارته فى العمل .

أما غاندى الزعيم الوطنى ، فقد علم الشرق كيف يحارب أنانية الغرب وغروره بغير عنف أو إيذاء ، ويتخلص من ضلالاته من غير حقد أو بغض ، ويستعين بأبعد الأسلحة عن العنف وإثارة الحقد ، ويتخذ من أقرب القوى إلى الحب والتسامح ذريعة فعالة لنيل المآرب القومية . فلو سرنا على هدى غاندى فى مقاومته السلبية السلمية ، وقاطعنا الدول الغربية ، وحاولنا أن نقلها ، ونقوى من تعاضدنا لأرغمنا الغرب على طلب التعاون معنا ، ولتنازل عن غروره وكبريائه ، وسلم بضرورة رد جميع حقوقنا التى سلبها منا عنوة وغصباً .

فكل من طاغور وغاندى قام بدور هام فى حياة الإنسانية ؛ فقد خدم طاغور الهند والشرق بل والعالم أجمع بسعيه فى ضم أشتات الدول المتخاصمة ، وتأسيس وحدة عالمية لها ثقافة واحدة لا حياة واحدة ، كما خدم غاندى الهند والشرق ، وعلمهما كيف يتسلحان بالطرق الروحية فى مقاومة مادية الغرب ، وجعله يشعر عملياً بأن أنانيته لن تفيده شيئاً ، بل تؤذيه وتضر بمصالحه ،

أبو خليـــــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

للأستاذ حسنى كنعان

كان ذلك منذ خمس وتسعين حجة على وجه التقريب ، وفى أمسية من أمامى الربيع الضاحك الزاهى جلس « عهد أغا أقبيق » والد النابغ الدمشقى أحمد أبو خليل القبانى فى حقوة داره الكبيرة ذات البحرة الدفاقة المعروفة فى حى الشاغور، يستقبل وفود المهنئين من وجوه الحى وأعيان الشام بمناسبة احتفائه بختم ولده القرآن من فاتحته إلى خاتمته .

وكان فى صدر الدار من الوافدين مفتى الديار الشامية الشيخ محمود حمزة وعالمها الأوحد الشيخ بكرى العطار ، وكلهم مغتبط مسرور بحفاوة رب الدار بهم وإكرام وفادتهم . وكان من عادة السامرين فى هذه المجالس أن تكون الأحاديث فيما بينهم جميعها تدور حول امتداح المحتفى به على سبيل المجاملة ، وإدخال السرور على فؤاد والده ، وإيناسه وإثلاج صدره ، فشرع الكل يطرى ذكاء أحمد ويمتدح نشاطه وشدة ميله إلى الدراسة والتعلم . فقال مفتى الشام فيما قال :

إنى لأعجب يا حضرة الأغا العجب كله لشدة ذكاء ولدك هذا ؛ إنه إلى حداثة سنه وصغر مداركه أراه لا يترك حلقة من حلقات التدريس التى يعقدها علماء الشام فى المسجد الأموى إلا قصدها وكان من روادها . إنه لا يترك المسجد ساعة من نهار إلا فى أوقات الطعام ؛ فرواد الحلقات على كثرتهم وميلهم لطلب العلم لم أر بينهم من يفضله فى ذكائه واجتهاده ونشاطه . إنه لا يحل حبوته أمام شيوخ الحلقات ، فلا يكاد ينتهى شيخ من درس حتى يزحف إلى شيخ غيره ، وهكذا يظل سحابة يومه كالطائر الفرد يتنقل من فنن إلى فنن ، ومن دوحة إلى دوحة ، يجتنى من الأغصان والأدواح الباسقة أطيب الثمار وأشهى الفواكه ، حتى ينصرف شيوخ الحلقات وروادها ويقفر المسجد ، وتتعطل لغة التدريس فيه . ولما سكت الفتى عقب الشيخ المطار على حديثه قائلاً :

أضف إلى هذا أنك تراه فى الحلقات دائماً يكثر من تحريك أصابع يديه ورجليه ويكثر من التغنيم والترنيم همساً فى فمه ، وكثيراً ما يسترسل فى عمله إسترسالا يجلب إليه النظر ، فيبادر من يجانبه من صحبه وهو ساهم غائب عن الدنيا والعالم يفكر فى شىء غير الدرس ، فينبهه ويفهمه أنه فى المسجد وفى الدرس ، لا فى الملهى والمسرح فينتبه فوراً ويصغى .

ولعل لهذا الفتى ميلاً خاصاً لأشياء أخرى غير ميله للدروس العلمية والفقهية ، وإن صدقتنى فراستى فولدك هذا لا بد أن يتردد على مجالس الموسيقى ويعاشر الموسيقيين . فهل يسمع أحداً من أرباب هذه الصناعة ، أم أن هناك ميولاً فطرية فى طبعه أثرت عليه ، فولدت فيه هذه الناحية ؟

وكان الأب مغتبطاً مسروراً بما يسمعه عن ولده من مدح وثناء ، وقد طال سكوته وإصغاؤه لمثل هذه الأحاديث السارة البهجة دون أن ينبس .

وبعد تفكير عميق قطع حبل صمته قائلاً : ولهذا أراك تكثر يا أحمد من ارتيادك مقهى العمارة الكبيرة ، فبحق عليك هلا أخبرتنى عما تفعله هناك . واستحيى الفتى واصطبغ لون وجهه بالحمرة وكاد العرق جبينه وغدا كأنه صنم من الأصنام لم يحر جواباً ولم يتحرك ...

وكان هناك فى الحلقة خل له يعطف عليه ويحبه حباً جماً ويعرف روحانه وجيأنه ، وهو واقف على أسراره الوقوف كله . فالتفت إلى أبيه قائلاً :

وأجبره على احترام الشعوب الشرقية واحترام حقها فى المساواة بالشعوب الغربية . وهذه السياسة الفاندية تجمع بين تقوية الهند وردع الغرب ، وتمهد فى نفس الوقت لإقامة وحدة عالمية بطرق عملية . فغاندى لا يختلف عن طاغور فى هذه الناحية وإن بدا لنا وطنياً . وذلك لأنه آمن بأن إحياء وطنه أمر أساسى لاتحاد العالم ، لأن الوحدة لن توجد لها قاعدة ما دام هناك دولة تستعبد دولة أخرى .

يجب أن تتحرر شعوب العالم جميعاً أولا ، ثم تعمل بعدئذ على توحيد العالم .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أجل إنه يؤم حى العمارة كل ليلة ويسمر هناك فى المقهى الكبير مصغياً إلى أهازيج «السكركوزاتى» على حبيب ، ويشهد محاوراته مع الصور الخيالية المؤلفة من رسوم عنترة وعبلة والمهلهل والزير والزناتى خليفة والملك الظاهر ، وغيرهم من أبطال القصص التاريخية الخيالية الموضوعة لإلهاء الدهماء عن البحث فى أمور لا تعنيهم فى عهد الفاطميين .

وأزيدك يا عم علماً أنه يذهب فى كل أسبوع مرة أو مرتين إلى مكان خصصه ابن السفر جلانى وابن الغبرة والأدابى وغيرهم ممن لهم ميل خاص فى الموسيقى والأهازيج ، ليتمرنوا هناك على الغناء والتمثيل .

ولقد فاجأته أكثر من مرة وهو منفرد فى حجرته يقلد السيد على حبيب فى مخاطبته عبلة بإشعار عنترة ، ويمثل دلال عبلة على ابن عمها عنترة كما يفعل « السكوكرزاتى » على حبيب خلف الشاشة البيضاء التى أخفى الصور الخيالية خلفها ونثرها على ضوء المصباح الضئيل ، وأصغيت إلى صوته الشجى عند ما كان ينشد قول الفارس العبسى المدنف فى حبيبة قلبه وفاتنة عقله يخاطبها بقوله :

هلا شهدت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
ينبئك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولما شعر بوقع أقدامى صمت بمقدار ما انضح له أنه واهم ؛ ثم تابع إنشاده بنغمة غير سابقتها واستشرى صوته فى القاعة يدوى ؛ وكان يشير بيديه كالمعتوه الذى خولط فى عقله صائحاً :

وسيق كان فى الهيجا طبيباً يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت ريحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

أنا العبد الذى خبرت عنه الخ ...

فلم أستطع الصبر على تركه وحده فى القاعة هكذا يخاطب نفسه كالمجانين ، وإنما فتحت عليه الباب الموصد ودخلت فجأة فأسقط فى يده وسكت . فصحت به ما هذا يا ابن أختى ؟ ما الذى تفعله ؟ تقلد « السكركوزاتى » ! ! أين « كراريسك » ودفاترك وأين كتبك وعناوانك الدراسية ؟ أهذه هى الدروس التى تعلمتها فى المسجد على مشيخة الشام ونخبة علمائها ؟ تلهو بالقشور وتترك اللباب إنك والله لمن الخاسرين الذين يضيعون مواهبهم وذكاءهم فى أمور مخزية . ماذا يقول الأغا والدك غداً إذا علم بنزعتك هذه ؟ فما كان منه إلا أن جبهنى بقوله : أنا حر فى تصرفاتى ، وليس لأحد على سلطان . فأنا إنما أبنى لأهلى وبنى قومى مجداً مؤثلا فى ارتيادى هذه الناحية . وسترون منى ما يدهشكم من الأعمال الباهرة التى سأقوم بها خدمة للفن أنا وصحبى .

وكان الفتى يصغى مطرقاً إلى حديث الخال المحترم ، وعند ما سمع هذا الحديث عن تلميذه الذى كان مكبراً فيه ذكاءه النادر ومواهبه الفذة ، فلمس فيه هذه الناحية التى تخالف مبدأه الدينى ونزعته الصوفية ، لم يطب المقام له فى تلك الحفلة النادرة بعد الذى سمعه ، فخف من المجلس على الأثر وهو يتمتم : أعوذ بالله ! تمثيل ... موسيقى ... غناء ، على حبيب ! إن هذا المنكر لا نطيق سماعه ، ولا نطيق السكوت عنه ، أنت يا أحمد مطرود من الدرس منذ الليلة .

قال الشيخ قوله هذا وزحف على قدميه وقد كور جبته وراء ظهره وعقد يديه فوق الجبة واستلم باب الدار دون أن يودع الحاضرين إستنكاراً للأمر وتظاهراً بالورع والتقوى ...

فتبعه الشيخ المطار وقفى على أثرهما بقية من فى الدار من الوجوه والأعيان ، وتفوض المجلس وخلا من سماره . وكانت هذه الهنة حافزاً للأب على الإيقاع بولده وغضبه عليه وهجرانه إياه .

بقى الفتى يقاسى فى نزعته الفنية ألم الحرمان والغضب وانقطاع الوشيجة بينه وبين والده وأفراد أسرته مدة حتى توفى الله الوالد وانعتق الفتى من أسر الرقابة وأصبح مالك نفسه وحاكم أمره ، وكان قد بلغ سن الرشد فانقطع لخدمة الفن وتفتحت براعم عبقريته وأمسى يصل ليله بنهاره ونهاره بليله دأباً على التلحين ونظم القصائد والموشحات . وقد ساعده على الإجادة فى النظم ما كان قد أخذه عن شيوخه من قواعد اللغة والنحو والصرف حتى قال فيه أحد شيوخه لو ظل هذا الفتى متابراً على الدرس لتحدثت الشام عن علمه زمناً طويلاً ، كما قال أحد الخلفاء العباسيين فى اسحق الموصلى : لولا نزعته الموسيقى لوليته القضاء .

(لها بقية) مصطفى كنعان

في موسم الحج :

أبو نواس يحج !

للشيخ محمد رجب البيومي

شغل الحسن بن هانيء أذهان معاصريه ، فقد كانت سيرته ذائعة شائعة يتناولها الظرفاء متندرين معجبين ، ويتناقلها الزهاد لائمين ناقمين ، وهو لا يفتأ يضرم النار ويشعل الوقود بما ينظم من شعر ماجن يتردد صداه في كل ناحية ، ويترنم به الحداة في كل ركب . وكثيراً ما يشفع القول بالعمل فيلجأ إلى الديارات الخليعة ويتصدر الأندية الداعرة ، يعب الخمر وينادم المرد ، ويقود الأسراب الطائرة إلى منابع السكر ، حيث تتجاوب الأوتار ، وتدور الكؤوس ، ويترأس أبليس الحفل ، فيفتح باب الغواية على مصراعيه ، ويوسوس لكل ماجن بما يسيء المروءة ، ويغضب الخلق الكريم .

وشاعر هذه نشأته وسيرته لا يمكن أن يفكر يوما من الأيام في الحج ، بل ربما نفر منه ودعا إلى حربه ، حيث لا يعود عليه بفائدة مما يبتغيه . وإذا كان شعراء الغزل في الدولة الأموية قد وجدوا في هذا الموسم الحافل معرضاً فسيحاً للجمال الفائق ، فحفوا إلى التمتع ببدائعه الفاتنة ، فإن الحسن لا يجد به مآربه المشتهاة ، فهو يناغي الرد الحسان ويهيم بالخمر المعتقة ؛ أما أسراب الغيد الطائرة حول البيت العتيق فلم تتمكن شباكها الخاتلة — بعد — من اصطياده ، فكيف السير إلى مكة ؟ وعلام يتحمل الشاعر في سفره الشاق؟ بل إنه سئل عن موعد حجه فقال مستهتراً كعادته « إذا نفدت لذات بغداد[1] » وهيهات أن تنضب موارد اللهو في دار السلام !

ولكن الثابت في التاريخ — على رغم ما تقدم — أن أبا نواس قد حج البيت المكرم طاف مع الطائفين ، ولبى مع الملبين ،

(١) قال أبو نواس

وقائل هل تريد الحج قلت له ... نعم إذا نفدت لذات بغداد

وقد غمره شعور سماوي هيمن على عواطفه فأنطقه بقسابيح خالدة ، تستمد نغمها الحلو من قيثارة فاتنة ، فكيف تسنى ذلك لأبي نواس؟ وكيف ينبع في الصحراء الموحشة نهر دفاق ملىء؟ سؤال يتطلب رداً مقنعاً. ولعل الإجابة تظهر في تاريخ الرجل، فقد شاء له حظه العاثر أن يهيم بجارية تمقته وتزدريه ، وترسل قذائفها المحرقة فوق رأسه ، وهو سليب العقل ، طائر الفؤاد ، يسير وراءها أنى سارت ، ويبعث خلفها الرسل يستعطفون منها قلباً جامحاً ، لا ينبض برحمة لمالك ، ولا يستشعر حناناً لدنف . ولقد كان هذا عجيباً منه أي عجيب ، فقد اشتهر طيلة حياته بمجانبة الغيد ، فكيف يتورط إذن في هذا الحب الجديد ؟

كانت «جنان» جارية عبد الوهاب الثقفي ساحرة فاتنة ، ذات وجه أزهر صبيح ، إذا تأملته تعاظمك الإقرار أنه من البشر — كما يقول الحسن — تجمع إلى دل الحديث وسحر اللامح ذكاء وقاداً ، وفهما عميقاً للشعر الرفيع ، ورواية واسعة للأدب ، وقد خطرت ذات عشية أمام الحسن فأخذت عقله من مكمنه ، ونقشت صورتها في مهجته ، فترك عصابته الماجنة ، وسار يتعقبها في كل مكان تحل به ، فإذا كان في البصرة عرس واجتمعت النساء ، خرج يتلمس صاحبته في اهتمام بالغ ، فإذا وقعت عينه عليها لم يطق أن يسارقها النظر بعض الوقت ، فيخفض رأسه حزيناً باكياً إلى الأرض ، ويهيم في آفاق خياله فيعقد موازنة شعرية بين « جنان » وعروس الحفل ، وطبيعي أن يحكم بتفوق صاحبته في مضمار الحسن واللباقة ، ثم هو لا يكتم ذلك ، بل يعلنه على الناس إذ يقول :

شهدت جلوة العروس جنان ... فاستهالت بحبها النظارة

حسبوها العروس حين رأوها ... فإليها دون العروس الإشارة

وإذا قام في البصرة مأتم حزين وهرعت العذارى إليه كعادتهن ترك الشاعر ما يملأ سمعه من النواح والعويل ، وأخذ يتلمس صاحبته في موقفها الدامع ، ويسبح في آفاق تفكيره ، فلا يوازن بينها وبين عذراء ممن شاهدهن كما فعل يوم العرس ، بل يحمل الموازنة بينه وبين الميت الفقيد . ولا غرو فقد قتله الحب فهو جدير بأن تبكي عليه صاحبته كما تبكي الآن على الراحل النازح ، ثم هو يبلغها ذلك في شعر رقيق هادىء . اسمعه إذ يقول .

يا قبرا أبرزه مأتم ينـدب شجوا بين أتراب
يبكي فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتاً حل في حفرة وابك قتيلاً لك بالباب

وكانت « جنان » تعتقد خاطئة أن أبا نواس غير صادق في حبه لأنها تعرف عنه خلاعته وادعاءه ، فكانت تسبه وتؤذيه وتطعنه في رجولته ، وتنال من كرامته كل منال ، ولم تصف له غير حقبة يسيرة مرت في حياة العاشق مرور الطيف ، وتركت وراءها طوفاناً جارفاً من السهد والدمع . وكأن الله عز وجل قد أراد أن يؤدب الحسن بهذا الحب ، فقد خلع كبرياءه وغروره وترك وقاحته وهجره ، ثم هام كالمشدوه على وجهه ، فإذا سأل عن جنان قوبل بما يكره من الأنباء الصاعقة ، والأخبار الفاجعة وهو في كل دقيقة يتجلد ويتصبر . وقد يدق شعوره فيتصور سبابها القذع تكريماً جليلا لشخصه ، لأنها تذكر اسمه لا محالة ، وفي هذا غنم كبير يساق إليه بلا حساب ، اسمعه يقول :

أتاني عنك سبك لي فسبي أليس جرى بفيك اسمي، فحسبي
تشابهت الظنون عليك في ذا وعلم الغيب منه عند ربي

وليت شعري لم يذكر اسم ربه في هذا الموضوع وقد نسيه قبل ذلك ؟ أيكون الحب قد جذبه قليلاً إلى روضة الإيمان ، أم أنه الضعف البشري يتسلط على المرء فيلجئه إلى الاستعانة بربه ، وإن تقطعت السبل ، واستبهم الطريق .

ولقد تطايرت الأنباء إلى العاشق المدنف أن « جنان » ستحج مع مولاها إلى مكة وذهب الحسن يتأكد من النبأ ويستوثق من مصادره العليمة ، فعرف أنه حق لا مرية فيه ، ومن ثم فقد أعد العدة ، وأعلن لأصحابه أنه سيخف إلى مكة في قافلة صاحبته . ولم يدهش البصريون لحج الشاعر ، فهم يعلمون أنه يقصد به غير وجه الله . ولقد كان يتتبع صاحبته في كل مكان له تترك بالبصرة ، فلا عليه إذا واصل مرافبته الدقيقة في مكة ، مهما كلفه ذلك من صحته وماله . والطريف أنه لا يقبل أن يترك الناس في حيرة من حجه الفاجيء ، بل يكشف اللثام عن باطن سره إذ يقول :

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً إليها يوصلني وأعيتني الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

وأنت لو قارنت بينه وبين ابن برد لأدركك العجب من ثبات بشار وخفة الحسن ، فقد خدع الأعمى قومه حين زعم أنه سيحج تائباً إلى ربه واتجه في أيام الحج إلى « زرارة » وأقام بها مع أحد أصحابه ، ثم رجع مع العائدين من مكة في يوم واحد ، وجلس يقبل التهاني ، ويقص الأحاديث المسهبة عن زمزم والحطيم ، دون أن يفضح نفسه بكلمة واحدة ، حتى أماط صديقه القناع ، فكشف أمره أمام الناس في أبيات فاضحة [1] ، أما أبو نواس فهو لا يريد أن يلبس على القوم حقيقته ، فيتستر بالورع والنسك ، ويدجل بالطواف والتلبية ، بل يذيع شعره الصريح على الناس في جرأة واستخفاف . ومتى اهتم الحسن بالجمهور ، وقد جانب المحجة ، وخلع العذار ! !

ولقد ظهرت براعته العجيبة في مكة حيث عرف فتاته في لجج طاغية من الزحام الحاشد ، فجعل يقبلها خطوة خطوة ، ويتعقبها في طوافها تعقباً يدعو إلى الغرابة والدهشة . ومن حيله الماكرة أنه التمس تقبيلها للحجر الأسود فقبله معها في وقت واحد ، وطاف بخده على صفحة وجهها الفاتن ، وقد شاهده في هذا الوضع المريب محمد بن عمر الجاز فصاح به : « ويحك ! في هذا الموضع لا يزجرك زاجر ، ولا يمنعك خوف الله ، ولا يردك حياء من الناس؟ » فقال له الحسن « يا أحمق ، وهل حسبت قطع الهامه والسباسب إلا للذي حججت له ، وإليه قصدت » ، ثم شاد شيطانه الداعر أن يكشف حيلته للناس ، فقال هذه الأبيات

وعاشقين التف خداها عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنهما كانا على موعد
لولا دفاع الناس إياهما لما استفاقا آخر المسند
ظلنا كلانا ساترا وجهه مما يلي جانبه باليد
نفعل بالسجد ما لم يكن يفعله الأبرار بالسجد

ولقد كانت مشاعر الحسن — وهو الشاعر المطبوع — متيقظة منتبهة في طوافه وتلبيته ، فلم يكد يسمع الترانيم الشجية يصدح بها اللبون طوائف تتلاحق وتتتابع ، حتى حركت أوتار قلبه وأخذ النغم الساحر يسكب في سمعه نشوة راقصة

(١) قال سعد بن القعقاع صاحب بشار في رحلته :

ألم ترني وبشارا حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد فقال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا أوبروا وآبا مو قرين من الخساره

فتسى جنان بضع لحظات وسحره الجم الحاشد يصيح ويستصرخ ، قلبي مع الملبين تلبية هي في الواقع تغريدة عذبة صدح بها فنان موهوب ، فهو يقول في رنة حلوة وتوقيع جميل :

إلهنا ما أعـــدلك ... مليك كل من ملك
لبيـك قد لبيت لك ... وكل من أهـل لك
لبيك إن الحمد لك ... والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك ... والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك ... ما خاب عبد أمّلك
أنت له حيث سلك ... لولاك يا رب هلك

يا مخطئاً ما أغفلك ... عجل وبادر أجلك
واختم بخـــير عملك ... لبيك إن العز لك
والملك لا شريك لك ... والحمد والنعمة لك

ولله ما أبدع الحسن ! فقد كان شاعراً قبل أن يكون عاشقاً ؛ فهو يتأثر بالمنظر الرائع فيبرز صورته الجميلة في مرآة شعره ، وإن شغله بعض الوقت عن قافيته ، ولا يعقل أن ينقص هذا من حبه في قليل أو كثير ، لأن الشاعر حساس مرهف يتأثر بكل ما يرى ويسمع فيتغنى به في سهولة ويسر . ولئن كان الجنون قد طاف مع الطائفين ، وشاهد ما شاهده الحسن ، فلم يخض كصاحبه فيما خاض فيه الملبون ، ومضى يتساءل عن ليلاه ويرسل زفراته الشعرية المحرقة ، فلأن قيساً كان عاشقاً قبل أن يكون شاعراً ؛ فهو على النقيض من أبي نواس ، ولا تثريب عليه إذا اشتغل بليلى عن كل شاغل ، ونسي موسيقى التلبية الفاتنة . وليت شعري كيف يصيخ إليها ثائه مجنون !

وكثيراً ما يقف الأدباء أمام مقطوعة الحسن في التلبية وما يشاكلها من أشعاره في الزهد والتوبة حائرين مرتبكين ، حيث يستغربون صدور هذه النفثات الصادقة من خليع مستهتر بالشرع الحنيف . ولقد فات هؤلاء جميعاً أن لكل نفس مهما غرقت في الخلاعة والفسق سبحات خاطفة تصلها بالسماء فتندم على ما فرطت في جنب الله ، وتتجه إلى الخالق مستغفرة باكية ، فلا عجب إذا أدركت الشاعر هذه اللحظات الخاطفة فقال أبياته الزاهدة ، ولا سيما والحسن برغم مجونه الزائد متصل السبب بالآثار الدينية والمواعظ الروحية ؛ فقد صحب في صباه أئمة الدين ، وروى الحديث النبوي ، حتى عده الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال من رواته ، وإن هجنه ووصمه بما يسقطه ويرديه ، كل ذلك يدعوه إلى الندم والحسرة على ما يرتكبه ويأتيه . وأعتقد أن شهرة الشاعر بالخلاعة قد جنت عليه أكبر جناية ، فقد طاب له أن يتناقل الناس نوادره وأشعاره وكلها طريف ممتع في بابه — وخيل إليه أنه إذا انقطع عن غيه ، سكت الناس عنه فلم يلهج بذكره ذاكر . وصاحبنا — كجميع الشعراء كلف بالشهرة مولع بالظهور ، بل إنه صرح بذلك لأبي العتاهية حين لامه في تهتكه . وإذا كان الصيت الذائع في رأيه لا يكون بغير الخلاعة الرائدة ، فليتطلبه من طريقها الشائن ... وهذا ما كان !

وكيفما كان الحال ، فقد رجع الشاعر من مكة كما ذهب إليها ، لم يتقرب إلى الله بتوبة ترفع عنه سيئاته ، وحسبه أن وجد في البيت العتيق طريقاً يوصله إلى جنان بدل أن يوصله إلى الله ! ! وليته ظفر بما يريد ، فإن صاحبته ما زالت برغم جنونه بها تمقته وتزدريه ، وعذرها في ذلك أنها لم تصدقه فيما يدعيه ، ولا جرم فقد جنت عليه شهرته السالفة بالمرد الحسان ، فحق لجنان الماكرة أن تعذبه بالحرمان .

وقد يئس الشاعر من صاحبته في النهاية ، فأكب على الشراب وحالف السكر محالفة تنسيه شواغل الوجد ولواعج الهيام ، ثم ترك البصرة بما فيها من معارف وأصدقاء واتجه إلى مدينة السلام ، فرأى البصرة لا تقاس بها في الترف والمجون ، فقد حوت من المتع واللذاذ ما يستخف الوقور ويصبي الحليم ، فغرق في الخلاعة إلى أذنه ، ونهز بدلوه مع الغواة ، وبلغ ما يبلغ المرء بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثام !

عفا الله عن الحسن بن هانيء فقد حج إلى البيت العتيق حجاً غير مبرور ، ونظم في الزهد والتوبة مالا يحسب إراء آثامه ومخازيه ، ولكنه خدع من كتب عنه من المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية ، فزعم أنه تنسك وزهد ، وما كان الشاعر طيلة حياته من الزاهدين ، ولكنه قال قول الزهاد ، وفعل أفعال المجان ، فكان كصاحبة جميل تذبح العصافير في قسوة ، وتدمع عليها في رحمة .

فلا تنظري يابثن للدمع وانظري ... إلى الكف ماذا بالعصافير تصنع

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومي

رحلة فى الديار المصرية فى القرن الثامن عشر (الميلادى) :

النحلة النصرية
فى الرحلة المصرية[1]
لمصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

لما دخل شهر جمادى الآخرة من سنة (١١٣٢ هـ ١٧١٩م) أراد الشيخ مصطفى البكرى زيارة الخليل ومنها إلى القاهرة ، ذات الربوع الزاهرة ، وأقام فى الخليل أياماً ، جاءه فيها شيخ موهوب مجذوب يكنى بأبى جاعد ، فسأله الشيخ بالإشارة عن التوجه إلى مصر ، فأومأ بيده نحو السماء ، مشيراً بأن العلم لله . وخرج مسرعاً ثم عاد ، فكرّر الشيخ السؤال فأعاد المجذوب الجواب . وأخبر عن رجل صالح أنه يقول إنه تراءى له سيدى اسحق وقال له قل لفلان يرجع إلى وطنه ، فعدل الشيخ عن السفر . ودعاه الأخ الشيخ عبد الرحمن الخطيب بن الشيخ أحمد التميمى إلى كرمه خارج الخليل ، وكان قد اتصل بطريقة الشيخ مثل ذلك ، فأجابه وكان الوقت قيظاً ، فحصل للشيخ من ذلك مشقة .

وعاد الشيخ مصطفى إلى القدس ، وأقام إلى أن مضى شهر الصيام . وفى شوال توالت الأخبار بأن جناب الدستور المكرم والمشير الفخم الحاج رجب باشا تولى الديار المصرية ، ومراده زيارة الأراضى القدسية والخليلية ، ومنها ينزل إلى العريش ، وكان له مع الشيخ محبة ومودة ، من مدة طويلة . وتحقق حلول ركابه فى مدينة نابلس ، فسار الشيخ لاستقباله مع شيخه الشيخ محمد الخليلى ، ودخلا عليه ، وكان الباشا ينزل عند نقيب أشراف نابلس السيد محب الدين ، فدعا الشيخ لصحبته إلى أرض الكنانة ، فأحاله على الشيخ محمد الخليلى فوجه إليه الخطاب فتململ ، ولكن الباشا ألح وأبرم فقبلا الدعوة .

وبعد زيارة الخليل ، والمعاهد والمشاهد فيها ، سارا صحبة الباشا إلى بيت جبريل ، ونصب لهما خيمة ، وعين لهما ما يحتاجان إليه من كثير وقليل ، ولم يكن للشيخ فى هذا السير رغبة ، لما فيه من المخاطر ، وما كان قد استعد لمثل هذه السفرة الشاقة ، وودع الذين يحبونه ، وشرع لفوره فى كتابة رحلته وسماها [النحلة النصرية فى الرحلة المصرية] وسار فى الصباح لغزة وقال فيها من قصيدة :

وارد الشوق غز فى القلب غزّة عند ما جئت أبتغى أرض غزة

ثم سار إلى خان يونس ، وبات فيها وقال فيها مواليا :

يافرحتى مذ بدا المحبوب لى يونس مسامرى بين ندمانى لخان يونس
سألت ما الإسم بدرى قال لى يونس
وقلت والأصل حبى قال لى يونس

واستأنس بأصحابه وبكر نحو العريش وقال من قصيدة :

عرش الحب فى الحشا تعريشا حين حل الملتاع فيه العريشا

وأقام ثانى يوم ينتظر ذخائر القوم ، ثم توجه نحو (بير العبد) ذى الماء الملح ، فلم يطق فيه مقاماً ، وجهد حتى وصل (قطية) ومال لسهلها ونزل عليه ، ورحل إلى (الصالحية) وتلقاه هناك نذر من جند مصر المحمية . وكان رافقه من غزة هاشم الشيخ صالح مفتيها ، فتمرض فى الطريق ودفن فى الصالحية . ونحا بعد ذلك جهة (القرين) والوزير يرمقه والشيخ محمد الخليلى بعين ، ويتفقد أحوالهما فينزل عنهما النين .

ونزل بعد ذلك نخيل (بلبيس) وارتحل للخانكه[1] وأتاها ليلاً ، وأمر الوزير بعض من عول عليه من جند مصر ، بإنزالهما داخل المدينة فى مكان مناسب ، وأرسلهما مع خادمه إلى دار محمد بك المكنى بأبى الشوارب ، وورد عليهما للسلام أعيان البلد ، وهى دار واسعة الأكناف ، ممتدة الجوانب والأطراف ، مقسمة إلى بيوت أربعة ، كل بيت يسع الصنجق[2] والذين معه . ويقول الشيخ فى وصف الدار « وكنا فى ربعها نتيه ، ونكاد إذا درنا فى جنباته أن نتيه » .

(١) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس . ولد مصطفى البكرى الصديقى سنة (١٠٩٩ هـ وتوفى ١١٦٢ هـ) .

(١) أو الخانقاه ، هو الزاوية أو الرباط . بيت الصوفية
(٢) الصنجق : اللواء والدائرة تحت لواء واحد .

ولما دخل مصر القاهرة ، شهد مدينة بالمباني الفاخرة ، ورأى فيها أشياء كثيرة ، لم يرها في غيرها من المدن الشهيرة ، فتحقق أنها بلدة جمعت محاسن خطيرة ، ولم يقل كما قال البعض أنها قرية كبيرة ، بل قال كما قال الإمام الشافعي عنها « كنت أظن أن مصر في الدنيا ، فرأيت الدنيا في مصر » .

وكان الوزير الكبير ، سأل الشيخ قبل دخول مصر ، عن محل نزوله ، فأجابه في محل يكون شيخه الشيخ محمد الخليلي فيه ، فسأله « ولم لا تنزل في بيت البكري الوسيع ؟ » فأجابه « رغبة في صحبة الشيخ الرفيع ، وإن دعانا شيخ السجادة إليه أجبناه » . ويقول الشيخ « وأقمنا في هذا البيت مدة ، وأظهر لنا كبير بيتناصده ، وجعلنا حرفاً منسياً ، كمن جاء شيئاً فرياً ، فنفرت النفس » . وارتحل إلى دار في الخرنفش صغيرة الدائرة ، تحت تصرف صديقه ابرهيم افندي ، القاضي ، وهي لصقة قاعة التجلي التي للسادة الوفائية ، وكان يتردد عليها ، وربما أقام ليلا ونهاراً لديها . ويقول الشيخ إن هذه القاعة نظير قاعة الجلال التي في بيتهم ، وقد دخلها شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي .

وأول ما ابتدأ به من الزيارات زيارة الحسيبة النسيبة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قال المناوي في ترجمتها : ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة وتزوجت اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، قدمت مصر ونزلت بها ببيت عمتها سكينة المدفونة بقرب دار الخليفة بمصر ، ولها بها الشهرة التامة بالولاية . ماتت بمصر سنة (٢٠٨ هـ) وكانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي ، ودفنت في قبرها ببيتها بدرب السباع بالمراعة ، محل معروف بينه وبين مشهدها الآن مسافة بعيدة . ثم ظهرت في هذا المكان الذي يزار الآن وكان الشافعي يعتقدها ويزورها . قال الذهبي ، وكان والدها من سراة العلويين ، ولي المدينة للمنصور ثم حبسه حتى مات ، فأخرجه المهدي وأكرمه ولم يزل معه حتى مات المنصور في طريق الحج . ولها كرامات كثيرة . ثم توجه للقرافة ، فزار مقاماتها . ومنها إلى زيارة مقام الإمام محمد بن ادريس (الشافعي) ولد بغزة أو عسقلان سنة (١٥٠ هـ) وهي السنة التي مات بها أبو حنيفة ، وأجيز بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى الإمام مالك فأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، ولقب بناصر السنة ثم عاد لمكة ، ثم لبغداد ، ثم لمصر ، فأقام بها حتى مات سنة (٢٠٤ هـ) عن أربع وخمسين سنة .

ثم عطف بعد ذلك على زيارة شيخ الإسلام زكريا بن أحمد زين الدين الأنصاري السُنَيْكي ،(١) ثم القاهري الأزهري ولد سنة (٨٢٦) هـ) وتوفي سنة (٩٢١ هـ) . ثم زار أسلافه الكرام السادة البكرية ، ووقف قبالة القطب الكبير سيدي محمد ، وقرأ له فاتحة الكتاب .

وتقدم بعد ذلك لزيارة عم والده ، جناب العالم أحمد لفندي نجل والد جده الشيخ كمال الدين البكري نزيل دمشق الشام والقاطن بها هو ووالده وجده ، وكان وفد الجد المذكور من مصر إليها ، ثم إنه استحسنها وعول في السكنى عليها . وعم والد الشيخ ورد على مصر من الحجاز معزولا عن قضاء مكة ، وتوفي ثاني يوم دخوله وذلك سنة (١١١٨ هـ) .

ثم سار لزيارة أبي الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ابن أبي الثنا الفهمي القرقشندي وهو من تابعي التابعين ، القائل رأيت نيفاً وخمسين رجلا من التابعين . وقال في حقه يحيى بن بكير ، الليث أفقه من مالك . وهو شيخ البخاري ومسلم ؛ ولد سنة أربع وتسعين وتوفي عام خمس وسبعين ومائة . وزار بعد ذلك جملة صالحة من سكان القرافة لا يمكن عدهم ، ولم يزد على التمثيل في العتبات الرفيعة إلا لدى سلطان العشاق سيدي عمر بن الفارض مولده (٥٥٦ هـ أو ٥٦٠ هـ) ووفاته (٦٣٢ هـ) .

ثم قصد زيارة سيدي محمد الحنفي نجل علي شمس الدين الشاذلي [ولد سنة ٧٤٧ هـ — وتوفي سنة (٨٤٧ هـ) . ثم توجه لزيارة السند الجليل سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين (بكربلا) . واعلم أنهم اختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره إلى الشام أين صار ، وفي أي موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أنه طيف به في البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه

(١) نسبة إلى قرية من أعمال الشرقية

أميرها بها (١) فلما غلب الأفرنج على عسقلان (٢) افتداه منهم الصالح طلايع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة ، وإلى ذلك أشار القاضي الفاضل (٣) في قصيدة مدح بها الصالح طلايع . وصار آخرون ومنهم الزبير بن بكار والملاء الهمداني إلى أنه حُمل إلى المدينة مع أهله فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الأمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلا بعد أربعين يوماً من القتل . ورجح القرطبي ، الثاني قائلا ما ذكر من أن في عسقلان مشهدا هناك أو بالقاهرة باطل لا أصل له . انتهى . والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري .

ثم زار الشيخ ، علم هذه الديار ، وأحد أركان مصر ، سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني يتصل نسبه بسيدي محمد بن الحنفية نجل علي رابع خلفاء المختار ، ولد تقريباً سنة (٨٩٩ هـ) وتوفي سنة ٩٧٣ هـ وقد ترجمه المناوي وغيره وترجم هو نفسه في سننه ، وقد طالع الشيخ جملة من مؤلفاته ، وكرر له الزيارة فهو أحد أشياخه

ثم زار سيدي محمد الكردي المكاني بعد باب الفتوح ، ثم مال لزورة الخواص ، وضريحه بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح تجاه خوص ، توفي سنة (٩٣٩ هـ) .

ولقد دعاه جناب الشيخ علي نجل الحنفي الولي ، إلى مكان نزيه ذي أبنية وثيقة ، في مصر العتيقة ، وكان بحر النيل في ازدياد على المعتاد ، فأركبه والشيخ محمد الخليلي ، قياسة له صغيرة ، وأرسلهما للتفرج على المقياس فسارا ورأيا العمود فيه مغطى بماء فاقت (على) الأسفنطا ؛ ورأيا الماء نازلا عما عليه كان ، لأنه فاض من الدرج الخارج وعم ساحة المكان ؛ ثم عادا إلى محل الضيافة ، فإن أمواجه كانت كبيرة ، واختلاف أهويته كثيرة ، وكان كبير ذلك المحفل الجامع والداعي لبيته وضيافته جناب الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي ، وقطعا ذلك النهار ، والداعي الصفي نجل الحنفي الولي يلاطفهما .

وبعد أيام دعى الشيخ الاصلاح بين الشيخ محمد شنن والشيخ أحمد (القدوسي ؟) وأقام معهم في صفا ووفا ، على بركة الرطلي التي تمتلئ إذا النيل وفا ، وكان يوماً مشهوداً بالأفاضل المعتبرين ممدوداً بمكارم الكريمي المستقي هو وأخوه من بحر الشاذلي ، وكان أخوه قد دعا الشيخ بعد أيام للحضور في داره ، وقصد بعد أيام لزيارة مقام زين العابدين .

ثم توجه صحبة الشيخ محمد الخليلي إلى جامع سيدي عمرو بن العاص بن وائل السهمي فاتح مصر ، وقد لقب أبوه بالعاصي على أحد الأقوال لأنه كان يتقلد بالعصا عوضاً عن السيف فسمي بالعاصي . وكانت زيارته وزيارة سيدي عقبة بن عامر الجهني تقدمت ، ورأى الشيخ في الجامع مصحفين بخطان للامامين سيدي عثمان وسيدي علي رضي الله عنهما ، ويقول « إنه بالبعد عن المدينة ، اضمحلت بعض رسومه المتينة » ، وصعد المنبر ، فوعظ وسار بعد ذلك إلى مصر العتيقة وكر ثانياً إلى المقياس . ويقول الشيخ ولو أراد سرد ترجمة من زارهم في القرافتين وقبور المجاورين ، لاحتاج إلى وقت طويل . وكان من الذين أخذوا العهد على الشيخ ومن المترددين عليه الشيخ محمد الحفناوي . وممن دعا الشيخ إلى داره الشيخ محمد العناني ذو النسب العمري والحسب الشمسي القمري ، وأغدق عليه البرات .

ويقول الشيخ « وكنا نستعمل القصب بكثرة غير مختصرة ، حتى اتخذنا له من الخشب صغير معصرة ، ويقال إن الإمام الطلبي صاحب المذهب ، ابن عم النبي كان سبب نزوله القاهرة ، حبه في القصب السكري ، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي :

نزلتُ على القصب السكري نزول رجال يريدون نهبه
بجز كجز رؤوس العـــدا ومص كمص شفاه الأحبة

وكان يتردد كثيراً مع الشيخ الخليلي إلى بولاق لأجل الاطلاق لا من الإملاق ، وكذلك لزيارة الشيخ فرج ، وصعد طبقة فرأى على جدرانها أبياتاً أثبتها منها :

ومن عجب الأيام أنك جالس على الأرض في الدنيا وأنت تسير
وسيرك يا هذا كسير سفينة يقوم جلوس والقلاع تطير

وكان الشيخ قد زار في أوائل قدومه الولي الشيخ محمد الدمرداش ، ودعاه أولاده الشيخ محمد صاحب السجادة والشيخ عثمان ، ودخل خلوة الشيخ .

(البقية في العدد القادم)

أحمد سامح الخالدي

---

(١) بها مشهد عظيم بناه الفاطميين من خطاء مصر (الأنس الجليل ج ٢ — ٤٢٢) . (٢) سنة ٥٤٨ هـ .

(٣) وزير السلطان صلاح الدين كان إنشاءه توفي (٥٩٦ هـ) في القاهرة .

الزهريات الاغريقية

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

كان أول مصنع أقيم لصناعة الزهريات فى بلاد الإغريق بمدينة كورينثيا Corinth فى القرن السادس ق . م . وانتشرت هذه الصناعة حتى بلغت جنوب ووسط إيطاليا وراجت منهما .

وكانت أول الزهريات الكورنثية صغيرة الحجم رقيقة التكوين ، صنعت من طين ناعم الملمس ، مزودة برسومات بُنّية حمراء رسمت على أرضية صفراء باهتة ، أما نقوشها فكانت عبارة عن خطوط أفقية متجاورة ، التفّت حول البدن ، وبين كل مجموعة من هذه الخطوط ، وبين ما علاها تركت مساقة ملئت برسوم للحيوان والإنسان فى أوضاع مختلفة ولكنها بسيطة بالقياس إلى ما سيليها .

وتتلخص الصفة الظاهرة لهذا النوع فى أنها مشابهة فى مجموعها لتلك التى عملت برودس ، من حيث الإخراج واختيار الألوان وأسلوب التصوير ؛ فترى غصن شجرة وقد بدا بالقرب من قاعدة الزهرية متجهاً إلى أعلى ، تفرعت منه أغصان أدق وأرفع ، وزعت فى نظام يدل على الخضوع لخطة مرسومة ، بحيث جاءت بينها مساقات أو مساحات استخدمها الفنان لتصوير الإنسان والحيوان كالأسد والثور وأبى الهول ، وما تبقى من المساحات زوده الرسام بزخارف من بينها الورود الصغيرة التى كانت محببة إلى الأغارقة بصفة خاصة .

على أن المستعرض للزهريات الكورنثية بصفة عامة يخرج بنتيجة صريحة هى أنها ذات أحجام صغيرة كما سبق التنويه ، وذات شكل كروى غالباً ، لها غطاء يوضع فوق العنق فى بعض الأحيان .

وقد طرأ تغيير ظاهر فى صناعتها فى أواخر القرن السادس ق . م . فبدت أكبر حجما وذات مقبضين ويسمونها « أمفورا Amphora » ، وأصبح لون الأرضية أكثر احمراراً نتيجة لزيادة الحريق فى الأفران ، ورأى الفنان نفسه مضطراً إلى استخدام نوع داكن من الورنيش يتناسب مع لون الأرضية ، فتكون ألوانه أكثر وضوحاً ، كما أنه استخدم اللون الأبيض والأحمر البنفسجى .

وبدأ الفنان يعنى بتقسيم مساحة الزهرية كلها إلى أقسام معينة ، بعد ما كانت لا تشتمل إلا على فواصل جاءت دون قيد ودون خطة موضوعة . وكان أهم هذه الأقسام مخصصاً لتصوير قصص الأبطال فى أغلب الحالات . أما الأقسام الأقل أهمية فكانت مجالا لتصوير الحيوان أو الفرسان على ظهور الجياد أو ما شابه ذلك .

ش ١ — بان أثينا أمفورا

ش ٢ — مصورات باللون الأحمر

ولعل من أحسن الأمثلة على هذا الاتجاه زهرية مشهورة محفوظة بمتحف برلين تبين فرسان « أمفياراوس Amphiaraos »

وإلى جانب المشكاوات الكورنثية وجدت فى نفس المرحلة الزمنية مصانع للفخار وعمل الزهريات فى إيطاليا ، فظهرت فى الأفق مجموعة خالكيس Chalkis Collection التى تتميز بصور الرجال والنساء معاً باللونين الأسود والأبيض ، وكذلك حلوها من الزخارف النباتية التى وجدت بالزهريات الكورنثية .

وشاع ظهور المشكاوات المسماة « أمفورا » ذات المقبضين والتكوين الكروى القائم على قاعدة مستديرة . وقد طاف حول وسطها حزام عريض ملىء بصور تمثل سير الأبطال Epos وأحوالهم كمراك هرقليس مع جريونيوس والمراك حول جثة أخيل ، والوداع بين هكتور وبين باريس الخ ، مما لا نقع له إلا الكتب .

ولم يدم الحال طويلا على هذا المنوال ، فلم يكد يبدأ القرن الخامس قبل الميلاد إلا وكانت أثينا قد بدأت تتغلب شيئاً فشيئاً على المشكاوات التى انتشرت فى إيطاليا وانفردت بالرواج طوال القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أنظر إلى المشكاة رقم ١ وهى المسماة « أمفورا » وتأمل بساطة الزخرفة ثم انظر إلى مجموعة الرجال وقد اتجه ثلاثة منهم نحو اليسار واثنان نحو اليمين كأنهم فى حديث هام ، والعجيب أن الفنان استطاع التعبير عما يريد فى هذه الرقعة الضيقة بكل اتقان ، أما رقم ٣ وهى ما يسمونها « هيدرا » Hydra ذات مقبضين أفقيين اشتملت مصوراتها الألوان الثلاثة : الأسود والأحمر والأبيض وقسمت مساحتها إلى ثلاثة أقسام أفقية أوسطها لرجال ونساء وأعلاها لحيوانات وطيور ، أما الأمفورا رقم ٦ فهى ولا شك أكبر حجماً وأرشق تكويناً — والصور الزخرفية هندسية الطابع أغريقية المزاج ، ولعلك تذكر أن الوحدة الزخرفية الموجودة أسفل الصورة مباشرة هى ما يسمونها ميائدر Meander نسبة إلى نهر ذى تعاريج يأتى ذكره فيما بعد .

ش ٣ آنية للتبريد — الأشكال باللون الأحمر — محفوظة بميونيخ

ش ٤ — زهرية أشكالها باللون الأحمر ، وهى تعد من أجل الزهريات الأغريقية — ميونيخ

وقد سارت المشكاوات الأتيكية فى أول أمرها متأثرة بنظائرها اليونية ثم بالكورنثية حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد حيث استقلت بنوع من التصوير يسمونه « التصوير الأسود اللون » .

وتمتاز الأتيكية المذكورة بجمال اللون الأحمر ورقته ودقته وكذلك ببريق الورنيش الذى يراه المشاهد لأول وهلة .

هذا من حيث « الصنعة » أما من حيث الإخراج الفنى فقد امتازت المصورات بمتانة الصور ومقدرته على تنفيذ الفكرة بأسلوب يدل على المران والتمكن .

كما أنه تفنن فى نوع الزخارف فضلا عن عنايته بضبط خطوطها وانحناءاتها وحسن اقتباسه لوحداتها مع التقليل منها ووضعها فى أماكن خصصت لها ، لا تطغى على المصورات ، بل تساعد على توجيه النظر إليها لوجودها فى النهايات كأنها إطار يحيط بالمشكاة .

وكان الموضوع المثير لاهتمام الفنان المصور ينحصر فى سير الأبطال يستلهم منها مادة فنه ، ويلى ذلك مناظر الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية يعيش فيها ويتأثر بها ويسجلها فى سجله الخالد على الزمن .

ولعل الاتجاه الذى كانت له قيمته الخاصة ذلك الاتجاه نحو تسجيل المناظر الجنائزية فى مجموعة عرفت باسم Prothesisvase شكلها على هيئة « الأمفورا » إلا أنها أكثر منها ارتفاعاً وأكبر حجماً ، وكان الغرض منها تحلية المقابر والجبانات .

واللاحظ أن فى هذه المرحلة الزمنية بدأ الفنان يشعر بكيانه وبقيمة عمله فأخذ يسجل اسمه على كل مشكاة يصورها ، فجاءت مجموعة « بان أثينا أمفورا » Panáthenaiamphora ولا تخلو واحدة منها عن اسم المصور ، وهذه المشكاوات كانت تملأ عادة بالزيت لتقدم إلى أوائل المتسابقين اعترافا لهم بالتفوق والتقدير ، فى أعياد بان أثينا الآلهة المدينة . وبمناسبة كتابة أسماء المصورين أراه لزاما أن أذكر « كليتياس » Klitias مصور زهرية فرنسوا الشهورة ، وأرجو تيموس Ergotimos وسوفيلوس ونيارخوس Sophilos and Nearchos وأولاده الخمسة .

ويتلخص الفارق البارز بين الزهريات «ذات الأجسام الحمر» من «ذات الأجسام السود» فى أن الأخيرة رسمت عليها الأجسام

بهذا اللون وأحيطت بلون أرضية الزهرية ، على حين كانت ذات الأجسام الحمر عبارة عن خطوط تحديدية غطى ما يحيط بها باللون الأسود الداخيل على الزهرية .

ش ٥ — الأشكال باللون الأحمر من الطراز الأرخى ، متحف باريس

ش ٦ — قنينة للزيت ، باريس

وببلوغ الصنعة هذه الدرجة من التجديد ، كان فن تصوير المشكاة قد تقدم من حيث الأسلوب ؛ فأصبح التعبير أكثر قوة عن ذى قبل ، كما بدت التفاصيل أكثر دقة وأكمل أداء بالقياس إلى سابقتها التى انفردت باللون الأسود وظلت حافظة على مستوى محدود من الاتقان وقفت عنده .

وبعد ما كانت الأجسام البشرية أشبه شىء بوسيلة من وسائل التعبير عن فكرة معينة ، أصبحت قوية من حيث إنشائها والأسلوب الفنى الذى تم به تصويرها ، فكانت العنصر الهام الواضح الأثر .

وتقدم فن تصوير المشكاة تقدماً مستمراً من ذلك الحين أى منذ حكم بزستراتس Pisistratus حيث ظهرت الأجسام باللون الأحمر ، حتى منتصف القرن الخامس ق . م . عندما ظهرت أسماء لامعة فى عالم تصوير المشكاوات أمثال أوبفورونيوس وزميله نيبكتيت وغيرهما من المحدثين نسبياً أمثال دوريس وبريجوس وهيرون Euphronios , Epiktet , Duris , Brygos and Hieron ، ورسمت بعض المشكاوات مزودة بأسماء وتفسيرات لبعض مناظرها ، كما كتبت بعض المعانى الرمزية للتعبير عن مشاعر خاصة . ومن هذا نرى أن تصوير المشكاة كان فناً له خطره وأثره البالغ؛ إذ تكونت منها مجموعة هى سجل حافل بما يميط اللثام عن حياة الأغارقة بين الواقع وبين الخيال .

وبالنظر إلى الزهرية رقم ٢ ه أمفورا » نجدها تشتمل على أجسام باللون الأحمر رسمت فى عناية ودقة ملحوظة تمثل مناظر رياضية رائعة ، بدت فيها أجسام اللاعبين رشيقة التكوين .

ولا نستطيع أن نتناول بالوصف كل واحدة منها على حدة ، وإنما الذى نستطيعه هو أن نوجه نظر القارىء إلى ناحية هامة وهى أن الأشكال ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ رسمت كلها على أرضية سوداء أى بتحديدها ثم طلاء الأرضية بهذا اللون وترك الأشكال دون تلوين ؛ فتبدو حمراء بلون الأرضية.

ورقم ٤ تبين إبريقاً ، و٥ هيدريا Hydria و ٧ ليكيتوس Lekythos و ٨ كراتر Krâter و ٩ أريبالاوس Arybâllos وكلها تبين مرحلة عظيمة من مراحل تصوير المشكاوات الإغريقية .

بقى بيان عن كلة ميآ تدر تعبيراً عن وحدة زخرفية تمثل خطوط متكسرة فى زوايا قوائم يدخل بعضها فى البعض الآخر [الزهرية رقم ٦ أسفل أرجل الحصان مباشرة] سموها كذلك تشبيهاً لها بنهر بهذا الاسم Maandros كثير التعاريج يصب فى بحر أيجة قبالة جزيرة ساموس . أما الزخارف الأخرى فقد اقتبست وحداتها من نباتات وتخيل يسهل فهمهما دون مشقة .

(له بقية)

أحمد موسى

ملحوظة : لأسباب فنية تعذر نشر الرهريات المقول عنها ، فنشرنا هذه بدلا منها ، وهى وإن اختلفت فى الموضوع ، فهى لا تختلف فى الجوهر.

اطلب كتاب

دفاع عن البلاغة

بعد خمسة وعشرين عاما :

سـيد درويش

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

دارت الكأس، والتقى الندماء ... وأعادت أيامها الصهباء
وصفا مجلس الشراب ،وطابت ... وسحا فى عبيرها الإغراء
وبدت حولها الزاهر تشدو ... ودعا الشرب سامر وغناء
واستوى الضاربون فيها أفاذ ... ين ، وباتت على الغدير الظباء

***

الليـــالى والصفوة الندماء ... وسقاة الملاحن القدماء
باكرتهم فى موسم الفن فاتنا ... لوا كما يجمع الفراش الضياء
يا نداماى : هـذه حان باخو ... س ، وهذى أنغامه المذراء
نبضات الأوتار فيها تراتيـ ... ـل ، وهمس الأعواد فيها دعاء
عصر الشعر كرمها من معانيـ ... ـه ، ودارت بها النغوم الوضاء
فإذا القوم بعد خمس وعشر ... ين نشاوى — كمهدهم - أنضاء
رقصت فى أعصابهم نشوة الفن ... وللفن ســـورة وانتشاء

***

نغم عاجب ، ولحن رَواء ... وهوى ساكب ، وطبع رخاء
وتصاوير للوجـــود كما لو ... شـفه الرسم ، أو نحاه الطلاء
وتعابير عن معـــان دقاق ... لم تحوِّم فى جوها الشعراء
أنكرت عالم الفناء وضجت ... فى صداها الحياة والأحياء
صانع الخلد لا يموت وإن مد ... ت عليه سجوفها الغبراء
هو فى فنـــه مقيم كأنه ... زاء بالريح القمـــة الشماء
شاعر ترجم الأحاسيس الحا ... نا روتها الطبيعة الخرساء
ساخر يضحك اللحون ، فضوب ... تتلظى أنغامـــه الحمـــراء

***

علمته الأنسام كيف البكاء ... وهدير الأمواج كيف الإباء
وعويل الرياح كيف التشكى ... وعبير الورود كيف الفناء
رب لحن كأنه موكب الرعـ ... ـد عتيـــاً كأنه الكبرياء
ولحون كأنها رقصة النا ... ر تغنيها الزعزع الهوجاء
ولحون كأنها لحظة الوصـ ... ـل زهتهـا مـــلاوة ولقاء
ولحون تصور الناس ألوا ... نا ففيها الطيوف والأصداء
نغمات تردد البـــدع فيها ... وســـقتها البديهة الوطفاء
غال خـلاقها الردى فتبينا ... ها خـلود ، وذاد عنهـا وفاء
يخفض الدهر عندها من جنا ... حيه ، ويردى الليل ، ويمحى الفناء
هى كالخمر كلما شيَّخ الدهـ ... ـر تناهى بهـا الصبا والفتاء
ينبض الحب فى سناها وتدعو ... ك إلى الله روحها الحسناء
ومن الفن ما يعلمك الحق ... إذا موه الوجـــود الرياء
ومن الفن ما يبشر بالرحـ ... ـمة دنيا طغا عليها الشقاء
ليس فى جوهر الحقيقة إلا الـ ... ـفن شىء . . وغيره أسماء
والذى صـــور العوالم فنا ... ن تظنَّى فى فهمه الفهماء

***

والليـــالى قصائد عصماء ... وأولو الفن وحدهم أنبياء
ربما استغفت الحياة عن العـ ... ـلم على رُغم ما أتى العلمـــاء
وعلى الفن وحده عاش أجدا ... دك دهراً وهم به سمداء
إن من أطلقوا العقول علينا ... لست تدرى: أأحسنوا أم أساءوا
والذى ظنها ترابا وماء ... هو فى نفسه تراب وماء
شـد ما تجنح الحياة إلى الرو ... ح وإن كان فى الطريق التواء

طاهر محمد أبو فاشا

اطلب كتاب

فى أصول الأدب

للأستاذ الزيات

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس :

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل في حفلة تأبينه وطبعه في كتاب ، وطبع ديوانه ، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه . ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى . وفي كل ذلك ، وفي كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه ، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها !

قيل كل ذلك ، وقيل مثله في حفلة التأبين الماضية ، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى في الحفلة المزمعة ... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً ؟ أو بتعبير آخر : هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرغيد ؟

إنما يأتي البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. إذ كان من العفاة السائلين ، وكان ذا حيلة في هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء ، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء ، منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون .

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات في التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعي إلى التحرير بالصحف والمجلات ؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفي بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدماً ، ثم يذهب ولا يعود !

وكان له زملاء في أول العهد قاسموه التسكع في الحي الحسيني ، وكانوا يسمونه « الحي اللاتيني » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير . ومما يروى من نوادرهم معه في عهد البؤس أن أحدهم — وهو الآن صحفي معروف يكسب حوالي مائة جنيه في الشهر — نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام ، إذ أراد كل منهما أن يهيئ به فراشاً على (الرصيف) في حرم المسجد الحسيني ، فاقتسماه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذي فيه « افتتاحية » العدد .. وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذي ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له فألا حسناً ، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات !

وكان الديب يقضي حياته الخاصة في الظلام ، يعاشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين ، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك . فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة ، حيث يلقى بعض الأدباء واليساير ممن يعطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضاً بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير في (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ؛ ثم يخرج عامر الجيب إلى حيث يفرغه في تلك البيئات المنحطة ... ثم تنتهي الدورة بفترة البؤس الذي صنعه بتلك القدسات !

ولم يكن وقياً المنفقين عليه ، بل كان يثني عليهم بالهجاء ، بعد أن قدم المدح على العطاء ... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية ... وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لا يعطيه في المرة إلا (شلناً) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم ! ولعل هذا هو الذي أوحى إليه نوعاً طفيفاً من المدح : بضعة أبيات لا يتغالى بها في مدح الممدوح ، وكان يسمي هذه المدائح « الشلنيات » نسبة إلى ما يرجوه من ورائها . وكان يطلق لسانه — حديثاً وشعراً — على كل من يحسن إليه ، قيل له : اهج فلاناً . فقال : ولماذا أهجوه وهو لم يحسن إلي ولم يعطني شيئاً ؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليهم في تيه وكبرياء ، فقالوا إنه لابد أن يكون في جيبه — على الأقل — عشرة قروش ... فلما سألوه في ذلك ، قال : أتى لي ... وهل يترك مي كامل الشناوي شيئاً يا أستاذ ! ؟ والأستاذ كامل الشناوي معروف بعطفه عليه

واهتمامه بأمره ... وشاهده بعض أصحابه فى ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الديب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نوارى سوأته ... وأحضروا له ثياباً نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً... ثم قال : ألا ترونني وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال فى هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ، إلا مع معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا . قال لى الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقى باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هيأ لو للديب رزقاً لكان بحمدكم صلى وصاما

ومالى لا أرود حمى رحيباً تكنف حافظاً ورعى حماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبيرة ملأى باللابس ، وأحاله إلى (الترزى) ليصنعها على قده ... فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائى وبين دسوقى باشا مقارنة انتهى فيها إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء المدائح فيه . ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتاً أولها :

أباغ أباظة عنى أنهم ورثوا مالا ولم يرثوا ديناً ولا خلقا

وبلغت الأبيات دسوقى باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإنى أكافئه على الشعر الجيد . فاستمر يمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر فى مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هى الحقيقة فى حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ؛ فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان هو يصنع البؤس صنعاً ، كان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيراً فى أدنأ الوجوه ، وفى أقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى بصنعه ... وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ليكون بائساً حقيقياً . وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين لعن الله أباكم أجمعين

أما الناعون على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه فليلتمسوا الثأن في غير عبد الحميد الديب ، وليعفوا التاريخ من التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً منحلا منفكا متحللا تائهاً شارداً ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

أسبوع شوقى :

اقتربت ذكرى المغفور له أحمد شوقى بك أمير الشعراء ، فقد توفى فى الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفى مثل هذا الوقت من العام الماضى ثارت عجاجة حول برنامج حفلة وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء فى مقاومة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة معاً ، إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فعدلوا عما كان موضع المؤاخذة ، فكان ذلك عملا مرضياً ؛ أما المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقى كانت فى العام الماضى — على ما كان فيه — أحسن حظاً منها فى هذا العام ... فقد كان فى الأول كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أى حديث مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبنفسى فكرة أوحت إلىّ بها كيفية الاحتفال بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتفى بذكرى نفسه إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح أن يخصص أسبوع لذكرى شوقى (ولا أقل من أسبوع) تشغل لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى هذا الأسبوع « أسبوع شوقى » ، ويمكن تنفيذه فى هذا العام وإن كان الوقت ضيقاً ، فمسرحياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ، والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان شوقى ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطيعا

تلحين جديد ، فلديهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشئون الاجتماعية فهي المشرفة على الفنون والمسارح ، وأذكر لها أعضاء اللجنة التي ألفت في العام الماضي لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم ناجي الذي ثبت في الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

وممن تنفق الوزارة على هذا الأسبوع؟ أظن ذلك لايعجزها. ولو كان الأمر بيدي لأخذت المبلغ الكبير المخصص لاستيراد الفرق الأجنبية وأنفقته على هذا الأسبوع ويسرت على الناس مشاهدة حفلاته ، ليربطوا ويذكروا شوقي ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقد بين فيه مذاهب النقد الأدبي ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمي إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربي المعاصر ، مستقصياً بيئاته وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولايسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الكتاب ويهتم به ، لأنه كتاب جديد في المكتبة العربية ، فهو أول مؤلف عربي — على ما أعرف — في موضوعه بشقيه : الكلام في النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . ومما يدعو أيضاً إلى الالتفات إليه والاهتمام به ، ظهوره في هذا الوقت الذي كاد ينعدم فيه النقد الأدبي ، فلم نعد نرى إلا هذه المجالات التي تكتب عن الكتب هنا وهناك ، بدافع المجاملات الشخصية ، والتي يكتفي كاتبوها — في أكثرها — بإلقاء نظرة عاجلة على الفهرس والمقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد في أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما مضى شتائم وتجريحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..

وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مثمر ، ومن تمحيصه الآراء واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجح[1] في ميزانه ، بما لاحظته في الكتاب منهما ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفي بهذه الإشارة ، لأن المقام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتي أنه وضع بكتابه هذا لبنة في بناء الأدب العربي الحديث .

التأليف المسرحي :

اتجهت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ، ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التي تواصل العمل المسرحي الراقي في مصر ، فقد كانت هي محور الاهتمام ، فضم إليها بعض الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي بك الذي أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكي طليمات مديراً فنياً لها

وكان أول شيء استدعى الاهتمام في الاستعداد للموسم القادم هو أزمة التأليف المسرحي التي كانت تضطر الفرقة إلى تكرار المسرحيات القديمة . ولمواجهة هذه الأزمة وعلاجها اتخذت الخطوات الآتية :

١ — قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة للتأليف المسرحي يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : المسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ، والثانية مائتان ، والثالثة مائة وخمسون .

٢ — وقلت للأستاذ زكي طليمات : لوحظ أن المتدين بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذي يقدم فيها ضعيف ، فهل تتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفي الفرقة ؟

فقال : هذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مساوياً لمجموع الجوائز — وهو ستمائة جنيه — لتكليف كبار الكتاب المعروفين بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو الآن يعمل في مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك وهبي يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمود تيمور بك ألف مسرحية اسمها « الملك الحائر » ، وهي تتناول شخصية امرئ القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ — هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز في مسابقة كانت أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية ، ولم يمثل من هذه ولا تلك شيء ، فاختار بعضها يوسف وهبي بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ المؤلفون من تأليفهم ، ومن هذه الروايات « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ أحمد علي باكثير ، وسيبدأ بها الموسم في منتصف أكتوبر وتجري الآن تجاربها في مسرح حديقة الأزبكية .

عباس خضر

(١) التطفيف : نقص الوزن ؛ والإرجاح : زيادته .

فى قافلة الزمان

تأليف الأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لقد عرفنا الأستاذ عبد الحميد جوده السحار فيما أصدر من مؤلفات قاصداً مؤرخاً ، يكتب التاريخ بأسلوب قصصى شيق ويرسم لنا أبطاله رسوماً تنبض بالحياة . وقد أخرج لنا « بلال مؤذن الرسول » و« أبا ذر الغفارى » و « سعد بن أبى وقاص » و « أبناء أبى بكر الصديق » وقال فيها قصصاً مرفوراً من النجاح وعالج الأقصوصة الحديثة فى كتابه « همزات الشياطين » لكن طابع السرعة وعدم الإتقان ، بدا واضحاً فى معظم أقاصيصه . ثم عالج نقد المجتمع والجهاز الحكومى بكتابة صور فكهة تصور معايبه فى الكتاب الذى أصدره بعنوان « فى الوظيفة » فكان أنموذجاً عالياً فى طرافة الأسلوب وروعة التهكم وجمال الأداء .

ولكن الكتاب الذى نتحدث عنه الآن يسلك سبيلا آخر لنقد المجتمع وعاداته هو سبيل الرواية . فكتاب « فى قافلة الزمان » إذن رواية طويلة انتزعت شخصياتها من صميم المجتمع المصرى . ولكى يدرك القارئ ما بذل المؤلف من مجهود فى تصوير عادات عدة أجيال من أمته ينبغى أن يعلم أنه بدأ الرواية فى بداية القرن العشرين وانتهى بها فى أواخر سنيه الحالية . أى أن الرواية سجل لحياة مجتمع فى نصف قرن . ولم يكن هذا السجل لحسن الحظ مشوشاً مرتبكا ناقص المعلومات ، بل كان مرتباً منظماً بلم بالشاردة والواردة ، قد دونته يد كاتب ماهر رمى إلى تقديمه بين يدى كل من يتوق إلى معرفة مجتمعه فى فترة لم يكتب له فيها الوجود ، وبذلك يوفر عليه الاطلاع وإن لم يوفر له الوجود !.

فنجاح المؤلف من هذه الجهة لا ريب فيه . إذ أنه وفق كل التوفيق فى نقل عادات الناس ، ورسمها بدقة وأمانة وإخلاص .

أما هيكل الرواية ففيه طرافة وتجديد . ونستطيع أن نلخصه فى عبارة قصيرة ؛ فنقول إنه عبارة عن تاريخ حياة أسرة وأحفادها . فقد بدأت الرواية فى التحدث عن الحاج أسعد وهو أبو الأسرة الأكبر ومن حوله أبناؤه الأربعة ولكل منهم زوجة وأطفال . ويظل هؤلاء جميعاً سقف واحد فى البيت الكبير الذى يمتلكه الحاج أسعد . ثم تستطرد الرواية فى استعراض حياة هذه الأسرة التى تتفرع وتتشعب وتتشابك شؤونها وتتعقد مشاكلها بازدياد أفرادها واتصال أعمالهم بأعمال الناس ، وبما يواجههم ما يواجه الإنسان فى خضم الحياة من مشاغل تستولى على عمره . فهنا بيع وهناك شراء ، وهنا زواج وهناك طلاق ، وهنا مرض وهناك موت ، وإلى آخر ما يتعلق بالحياة من أمور . وعلى الرغم من أن السيطرة على دفة رواية تعالج نفسيات الناس وعاداتهم وتبسطها على خير الوجوه من الصعوبة بمكان ، فإن الأستاذ السحار أمسك بالدفة شأن الربان الماهر ، وعالج حياة هذه الأسرة وما تفرعت منها من أسر بدقة وإتقان . حتى أن القارئ ليخرج من الرواية وهو على أتم ثقة أن المؤلف لم يغفل حادثة من الحوادث ليصور إحدى العادات ، وأن الرواية سارت فى مجراها الطبيعى دون أن تتعثر بما فى طريقها من صخور

ومع أن الرواية ليست من ذلك النوع الذى يعنى المؤلف برسم مشكلة لها هى العقدة ؛ تتشابك الحوادث حولها وتتكاثر الشخوص ، ومع أنها أيضاً لا تشتمل على حوادث غريبة مشوقة وإنما هى قطعة من الحياة مليئة بما يقع للمرء وما يشاهده فى مجتمعه من الحوادث والعادات على مدار الأيام فإنها مع ذلك تجرى فى أسلوب لين شيق يأخذ بانتباه القارئ فيستغرق فى تلاوتها بلذة وإعجاب . وهذا ولا شك هو المقصود بنجاح الروائى وبراعته .

بيد أن كثرة شخصيات الرواية لم يفسح للمؤلف مجالا كى يرسمها جميعاً بالدقة المطلوبة — كما رسم شخصية مصطفى ونفيسة مثلا — فجاءت صور قسم منها باهتة لا تتسم بميزات وملامح واضحة برغم أهميتها . ومن ذلك القسم جاءت شخصيات سليم وأسعد وسارى . ولعل ذلك يبدو بصورة أوضح لو قارنا — على سبيل المثال — نجاح المؤلف فى تحليل شخصية مصطفى بنجاحه فى تحليل شخصية سليم . مع العلم أن الشخصيتين تتكافآن

فى الأهمية والدور . حقاً إن الفرق يبدو شاسعاً بين النجاحين . والواقع أن براعة المؤلف كما يتضح لى متجهة إلى غرضين يمكن القول أنهما شغلاه نوعاً عن الأغراض الأخرى : الأول والأهم هو تصوير حالة المجتمع المصرى فى نصف القرن الأخير وتسجيل عاداته وتقاليده . وقد سبق لى أن ذكرت أن المؤلف توفق فى هذا كل التوفيق . فاستطاع أن يكوّن صورة فى أذهاننا عن الزواج — مثلا — فى جميع مراحله : كيف تتم الخطبة ، ويعد « الجهاز » ويقدم « النيشان » ثم تقام الزفة التى يعقبها بناء الخطيب بخطيبته .

ولكى أكوّن لدى القارئ فكرة عن دقة المؤلف فى تصوير هذه العادات أورد الآن مقطعاً يتعلق بأحد مراحل الزواج الذى يسمى « النيشان » . فقد جاء فى صفحة (٢٠٥) من الكتاب ما يلى :

[وخرجت أمينة وعصمت وسكينة لشراء « النيشان » وهو هدايا يقدمها الخطيب لخطيبته قبل الزفاف ، ويتكون « النيشان » عادة من حذاء فضى ، وقماش من القصب المنابى ، وقفاز أبيض ، ومروحة كبيرة من ريش أبيض فاخر ، وطرحة بيضاء ، وحافظة بيضاء وجورب أبيض من الحرير الغالى ، ويطلق على هذه الأشياء « الطقم الأبيض » ، وهو ما ترتديه العروس ليلة الزفاف . ويحتوى « النيشان » كذلك على شباشب حمراء وصفراء وخضراء وجوارب ومناديل وروائح وصابون مملك ، وصندوق توالیت فاخر ، وأقمشة متعددة وثياب داخلية]

هذا عن الزواج ، وما يقال عن الزواج ، يقال عن كيفية علاج الناس للمرض والعقم واستغنائهم عن الأطباء بأولياء الله من أمثال سيدى البيدق ، وأولاد عنان ، وسيدى الشعراوى ، والسيدة نفيسة ، والمندورة . ولهم شأن الأطباء ، لكل منهم اختصاصه : فسيدى البيدق يشفى من الصداع ويزوره المرضى بعد صلاة العصر ، وأولاد عنان يشفون المرضى المهازيل ، وسيدى الشعراوى يشفى مرضى النفس والجسد ، ولابد من زيارة ضريحة مرتين فى اليوم فى الفجر وعند الغروب ، أما السيدة نفيسة فيزورها مرضى العيون ولم يحدد لزيارتها وقتاً . والمندورة تشفى النساء من العقم .

هذه العادات ، إلى غيرها من نظم المجتمع وما يتصل به ، حظيت من المؤلف بأكبر قسط من الاهتمام . ولذلك جاءت صادقة دقيقة تنساب فى سلاسة وبساطة محببة . وبذلك حقق المؤلف هدفه الأول .

أما الهدف الثانى فهو على ما أعتقد دراسة شخصية مصطفى ، التى تمثل شخصية المؤلف . وقد نجح الكاتب فى هذا الغرض أيضاً ، حتى أن القارىء يظن أنه عرف مصطفى هذا قبل أن يقرأ عنه فى الرواية ، وهو قد عرفه فى الحق ؛ ولكنه عرفه فى خضم الحياة المليئة بأشخاص من طراز مصطفى . وقد أبدع المؤلف خاصة فى تحليل حب مصطفى وعواطفه ، وعندى أنه إن لم يكن قد بلغ القمة فيه فقد قاربها .

وهناك بعض المؤاخذات على المؤلف أهمها كثرة أبطال روايته . صحيح أن مجال الرواية واسع ، وأنها تشمل الحياة بكليتها ، ولكن هذا لا يعنى أن نعالج نفوس الناس بأجمعهم ، بل علينا أن نتفق منها ما يمثل منها مجموعة بعينها . وحيث أن المؤلف عالج فى روايته أسرة معينة تفرعت منها أسر أخرى ، فإنه تعرض لجميع أفراد هذه الأسر .

ولكننى لا أتفق معه على طريقته هذه ، وأقل ما يقال عنها أنها توقع القارىء فى الارتباك فلا يستطيع معرفة الشخصيات معرفة دقيقة وهى على تلك الكثرة . وبالاضافة إلى ما قد ينجم عنها من ارتباك ، فانها دفعت المؤلف إلى تسجيل بعض الحوادث التافهة التى لا تستحق أن يُفرد لها مكان فى رواية جيدة كروايته . وأبسط مثال على ذلك شخصيات أصدقاء سليم وأسعد التى لم يكن لها لزوم فى الرواية إطلاقاً ، والتى تشعر القارىء دوماً أنها كل على الرواية ، قد أقحمت فيها إقحاماً ، ومهما حاول القارىء أن يتعرف على لون لها اصطدم بالحقيقة الواضحة وهى أنها عديمة اللون والطعم والرائحة !

وقد كاد المؤلف من الجهة الأخرى أن يشرك عنصر الفساد فى الرواية ، لا لشىء حتمة إلا لكونها قد طالت . والظاهر أن ذلك الطول قد أتى المؤلف ، لأنه عمد إلى استغلال قانون السرعة استغلالا مضراً بمصلحة الرواية كل الضرر . ولعل القارىء يستطيع أن يلاحظ ذلك منذ بداية الصفحة الثلاثمائة .

إذ اتجه المؤلف إلى رواية الحوادث بأسلوب بسيط ساذج لا تميزه إلا السرعة ، وليس له أية علاقة بأسلوب الروائى الفنان ، ثم ما تكاد تأتى النهاية حتى يصطدم القارىء بحقيقة أخرى ، تتمثل بتر الرواية . صحيح أن نهايتها موفقة ، ولكن القارىء يشعر شعوراً أكيداً أن المؤلف لم يقل كل ما عنده ، وأن عليه الاستمرار فيها لأنها لم تنته بعد .

وفيما عدا ذلك فإن الرواية على نصيب موفور من الروعة فى فنها وأسلوبها وأغراضها .

(القاهرة) شاكر مصباح

من نور القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

القرآن ثروة الإنسانية الروحية ؛ وذخيرتها التى تعتز بها فى اجتماعها واقتصادها وسياستها وخلقها ؛ وهو موضع الحفاوة ؛ وهدف الدراسة ؛ ومثار النشاط العقلى بين ذوى القرائح الخلاقة ؛ غير أنه لم ينل فى البيئة الإسلامية كل ما يتطلبه فى هذه الرحلة الفكرية الجديدة ، كتحديد أهداف سوره ؛ والمحور الذى تدور حوله . مما يعين على تمثل أغراضه ؛ والنفاذ إلى مراميه . ولعل أول محاولة يراها — النور — فى هذا الميدان هى ما اضطلع بها الأستاذ الجليل فى النهج الذى انتهجه فى تفسير الربع الأول من سورة البقرة وآل عمران والنساء . وهذا النهج يتمثل فى أنه يبتدىء بكلمة عامة عن السورة يقدم فيها بين يدى — القارىء — العناصر الأساسية التى يتكون منها هيكل السورة ؛ ويهيىء الجو الذى يظله من السورة بظلاله . وهذه خطوة لها أثرها القيم فى فهم أسرار القرآن واستلهام روحه صافية غير مشوبة ، حتى إذا وصل إلى الربع الذى هو بصدده أخذ يكشف لك عما يتناوله من أغراض . فإذا ما وضع تحت بصرك هذه الأصول فقد اجتاز بك المنطقة الشائكة ؛ ثم يأخذ بعد ذلك يصور لك بأسلوبه الفكرى وبقلمه البيانى ، المعنى العام للربع إذا بك تجدك وقد وصلت إلى أهدافك من أيسر السبل ؛ دون أن يجشمك متاعب السفر ولا وعثاء الطريق ؛ فها هو ذا يستهل بحثه بكلمة عامة عن سورة — البقرة — ويسلل طولها باشتمالها على تشريع الأحكام العملية . وقد بدأها الله ببيان فرق الناس بإزاء الاهتداء بالقرآن ، وبين فيها البر وأحكام القصاص ؛ والوصية . والصيام . والحج . والنفقة . والخمر . والميسر . والزواج والطلاق . والعدة . والإيلاء . والربا . والمداينة ، والتوثيق بالكتابة : والإشهاد ؛ والرهن الخ ، حتى إذا استوفى هذا البيان العام وأعطاك الصورة الإجمالية للسورة ، انتقل بك من العام إلى الخاص ، وقدم إليك صورة صحيحة دقيقة لفهم روح القرآن وبيان أسراره . وعرض تفسير الربع الأول من سورة البقرة أبدع عرض ؛ وعلى هذه السنة استبن عمله فى آل عمران والنساء . فيا حبذا لو أخذ علماؤنا يعالجون القرآن تحت هذا الضوء ، ويقدمونه على هذا الأسلوب ، لقربنا إذن الشقة بينه وبين الأذهان التى بعدت بها ظروفها عن الدراسات الدينية ؛ ولظهرت آثاره قوية فى أخلاقهم وأفكارهم وحياتهم . فمتى ننتفع بهذه الثروة التى تكفلت بسعادة العالم . متى !

محمد عبد الحليم أبو زيد

إعلان

توجد وظائف كتابية من الدرجة الثامنة خالية بمصلحة الطب الشرعى مطلوب بشغلها من حملة شهادتى الدراسة الثانوية القسمين الخاص والعام ودبلوم التجارة المتوسطة ، فعلى من يرغب فى الالتحاق بإحدى هذه الوظائف أن يقدم طلباً على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . باسم حضرة صاحب العزة وكيل وزارة العدل المساعد لشئون الطب الشرعى ، وإذا كان راغب الالتحاق مستخدماً بإحدى الوزارات أو المصالح الحكومية ، فيجب أن يرسل الطلب عن طريق الجهة التابع لها ممحوباً برأيها فى نقله .

وذلك فى ميعاد لا يتجاوز الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ١٩٤٨ ٣١٦

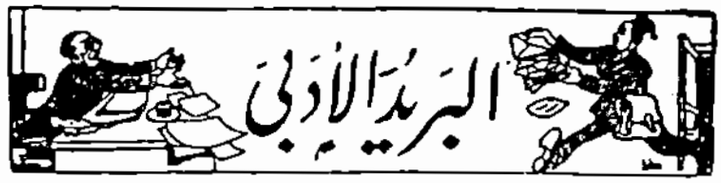

الأديب المدرس :

قرأت في الرسالة الغراء تلك الكلمة القيمة التي يشكر فيها الأستاذ الزيات للأستاذ توفيق الحكيم ترشيحه إياه لكرسي « شوقي » واعتذاره عن هذا المركز الذي يحد من سلطانه . ويقلل من نشاطه ... وقد أتاحت لي هذه الفرصة الطيبة أن أقارن — في ذهني — بين الأديب المدرس ، والأديب الحر ، وربما بدا لكثيرين أن يقولوا إنه لا معنى لهذه المقابلة ، لأن الأديب في الحالين أديب من غير شك ، وأدبه مقيداً بأعلال الوظيفة ، أدبه طليقاً حراً ... وهو كلام إنما يصح إذا تصورنا أن الأدب ألفاظ وجمل ، يتذوق صاحبها في رصفها ، ويتأنق في صياغتها ويتمهل في تدبيجها. أما إذا تصورنا أنه إلى جانب ذلك أفكار تتسامى ومعان تخلب وتروع ، وأن العبارات إذا لم تكن مع الغرض النبيل ، أشبه بالمرأة الحسناء في المنبت السوء ... خصوصاً في عصرنا الذي نعيش فيه ، حيث صار الموظف موظف حكومة ، لا موظف « مصلحة » أعني أنه يتحتم عليه أن يكون أديبه في حدود اللون الذي تتلون به « الوزارة القائمة » وكم رأينا أدباء قيد « حب العيش » أدبهم بهذا القيد فسقطوا من الأنظار ، ولم يكن أدبهم محل اعتبار ... على أن المدرس إذا لم يكن في « الفصل » كالممثل الذي يستجلب رضا الجمهور ، ويستدر إعجاب المتفرجين ، لا تقوم له قائمة ، وفي سبيل ذلك لا يبالي بسخط الفن ، ولا بإغضاب الحقيقة « المرة » وهذا التهريج إنما يروج بمقدار ثم لا يلبث القوم أن يمجوه تمشياً مع قاعدة البقاء للأصلح « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » والأستاذ الزيات في الرعيل الأول من شيوخ الأدب ، لا لأنه كاتب فحل ، أديب ممتاز ، ولكن لأنه يستشعر الحرية فيما يملي عليه لسانه ، ويهجس به وجدانه ، والشباب يحفظ له الآيات البينات في النقد ، والتعليق على الحوادث والأخبار ... وافتتاحية في « الرسالة » كفاتحة الكتاب يقرؤها للحفظ والتيمن ، وإن كان في ذلك كله مقلا فمعذور أننا في عهد التهوين بالطاقة ولكل شيء غاية ، ولكل بداية نهاية .

ابراهيم علي أبو الخشب

« الجويم » بين الأزهر والرسالة :

نشرت مجلة الأزهر مقالا تحت عنوان (أسباب تأخر المسلمين) بعدد ذي القعدة سنة ١٣٦٧ هـ لفضيلة الأستاذ الشيخ — عبدالحميد عنتر — المدرس بكلية اللغة العربية .

قال صاحب الفضيلة (ولم يحركهم للشر إلا أطماع « الجويم ») يقصد بكلمة « الجويم » اليهود ، وكتب معقباً (الجويم : اسم رمزي لليهود الصهيونيين الذين يريدون الاستيلاء على العالم كله ويعتبرون كل من سواهم من الناس بهائم . انظر مقالات الأستاذ نقولا الحداد عن اليهود في أعداد الرسالة : مارس وإبريل ومايو سنة ١٩٤٨)

والذي قرأناه في الرسالة وفهمناه من مقالات الأستاذ نقولا وأفدناه من مواثيق الصهيونيين ، يخالف لما ارتآه الشيخ ، بل الذي بمجلة الرسالة أن اليهود أطلقوا هذه الكلمة على غير اليهود من جميع الأمم

وبعد كتابة ما سلف ، قرأت في الرسالة للأستاذ الحداد ص١٠٥٨ عدد ٧٩٠ (لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لكي يحلبها شعب الله المختار « الجويم »)

فهذا الرأي الأخير للأستاذ الحداد فيه تأييد لما ارتآه الشيخ ومخالفة صريحة لمقالاته السابقة وتخطئة لفهمي . فما رأي الأستاذ الكبير « الحداد » بعد هذا ؟ فهل كلمة « الجويم » تطلق تارة على اليهود ، وأخرى على غير اليهود من العالم . أم ماذا ترى ؟

(كيان الطاعنة) محمد أمين الشماع

تحقيق تاريخي :

أتابع ما يكتبه الأستاذ أحمد حافظ عوض بكثير من الاهتمام والحرص ، ولقد قرأت المقال النفيس الذي نشره عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مجلة المصور العدد (١٢٣٢) ص ٢٢ فوجدته يقول فيه « ولقد كان شاعر النيل المرحوم حافظ بك من المقربين إليه ، وهو الذي ألحقه بالعمل في دار الكتب المصرية وكان يسر كثيراً من فكاهته » فوقفت طويلا عند هذا الكلام لأن المرحوم الشيخ محمد عبده قد توفي في ٩ يوليه سنة ١٩٠٥ مع أن شاعر النيل قد عين في دار الكتب في ١٤ مارس سنة ١٩١١ بوساطة المغفور له أحمد حشمت باشا ناظر المعارف حينئذ ؟

وعليه يكون الأستاذ الإمام بعيداً عن هذه المسألة كل البعد كما ينطق التاريخ الرسمي .

هذا وقد حفظ الشاعر الكبير لحشمت باشا صديقه الجليل فأشار إليه فى رثائه الحزين حيث قال من قصيدة ممتعة لم تنشر فى ديوان حافظ ، وإنما بقيت محفوظة فى الجرائد لا يلتفت إليها أحد ، قال :

لك سنة قد طوقت عنق ... ما إن أريغ لطوقها ترعا
مات الإمام وكان لى كنفاً ... وقضيت أنت وكنت لى درعا
فليشمت الحساد فى رجل ... أمست مناه وأصبحت صرعى
قد كان فى الدنيا أبو حسن ... يولى الجميل ويحسن الصنعا
سلى فإنى من صنائعه ... وسل المعارف كم جنت نفعا
تالله لولا أن يقال أتى ... بدعاً لطفت بقبره سبعا
قد ضقت ذرعاً بالحياة ومن ... يفقد أحبته يضق ذرعا

رحم الله الإمام والشاعر والوزير وأمدّ فى حياة الكاتب الكبير

(الزقازيق) ابراهيم عبد المجيد النمرى

تصحيح تصحيح :

جاء فى مقال الأستاذ المحقق اللغوى الفاضل أحمد يوسف نجاتى « تصحيح تصحيف وتحرير تحريف » وذلك فى العدد (٧٩٣) من الرسالة الغراء ص ٢٠٣٩ قوله « ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع فى ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما فى بيتى ابن المعتز صفحة ٢٦ :

أما ترى ملك بنى هاشم ... عاد عزيزاً بعد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثله ... تستوجب الملك وإلا فلا

« ولعل صواب القافية فى البيت الأول (بعد ما ذللا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التى ضربها مثلها على وزن فاعلن ، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب فى البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما » .

وأقول : إن ابن المعتز حين قال أبياته ما كان ينظر أو يلتفت إلى « العروض » بقدر التفاته إلى المعنى المراد تأديته على الوجه المطلوب . فهو حين أورد (عزيزاً) فى شطره الثانى أعقبه وقابله بضده الذى هو الذل فقال (ذلا) وبه تمام المعنى ، وإن خانه المبنى. وفى المأثور « ارحموا (عزيز) قوم (ذل) » .

ولو افترضنا صحة تصويب الأستاذ (بعد ما ذللا) معنى ، لما كان ثمة موجب للتشبيه بالمثل فى البيت الثانى حتى يستوجب الملك طالبه . أو يستأهل الدر حالبه !

وفى موضع آخر يقول ... وفى صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً ... وهو إذ جاد باكى العين

« لعل الصواب (دامع العين) برفع دامع خبر المبتدأ هو » .

وأقول : البيت صحيح بصورته وزناً ومعنى ، وظهور حركة الفتح على الياء من (باكى) لايفيد الحال وإنما الرفع مكانها على أنها خبر المبتدأ هو ، والاستثناء الشعرى يجيز إظهار حركة فى غير موضع حركة ، كما يجيز حذف حركة من موضع جوازها ، كقول من قال :

يا بارى القوس بريا لست تحسنه
لا تفسدنها [1] وأعط القوس باريها

هذا ، والأستاذ — فى البيت السابق — لم يلتفت إلى المقابلة اللطيفة بين (ضاحك وباكى) واستعاض عن البكاء بالدمع ، وإن كان الدمع من دلائل البكاء .

وبعد فالذى رأيناه أثبتناه ، والله الموفق إلى الصواب. والسلام.

(الزيتون) عمر تاجه

(١) وفى رواية (لا تفسد القوس أعط القوس باريها)

الأستاذ محمود الخفيف
يقدم
أحمد عرابى
ثمنه ٥٠ قرش

التـــاريخ العالمى

للكاتب الفرنسى أناتول فرانس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الكردانى

عندما خلف الأمير الشاب « سمير » أباه على عرش المجم ، استدعى جل علماء مملكته ، ثم قال لهم فى نبرة جادة مؤثرة :

— إن أستاذى — الدكتور سعيد — علمنى أن السلطان يتورط فى أقل ما يمكن من الخطأ ، إذا ما توخى فى تصريف شئونه وإبرام أموره ، أن يستهدى مثل الماضى وأن يستلهم عبر التاريخ ؛ ولهذا ... فإنى قد ارتأيت — بعد تدبر — أن أكلفكم بمهمة جليلة الشأن خطير ، هى أن تتوفروا على إعداد دراسة شاملة فى تاريخ الشعوب ... وبخاصة روادها وقادتها ... فما قولكم أيها السادة الأماثل فى هذا التكليف الخطير ؟ !

فتبادل العلماء النظر ، ثم أنهى واحد منهم إلى الأمير — بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه — استعدادهم للاضطلاع بهذا العمل الجليل .!

فما إن آبوا إلى دورهم ، حتى شرع كل منهم يكتل جهوده ويشحذ ملكاته توطئة للقيام بإخراج هذا « التاريخ العالمى » الجامع . وبعد عشرين سنة تقضت فى كد متلاحق وكفاح موصول ، عاد أعضاء « الأكاديمية » إلى الملك فى قافلة تتألف من اثنى عشرة جملاً مثقلة ظهورها بأجزاء هذا السفر العظيم !

وتقدم « سكرتير الأكاديمية » من الملك ، ثم أنشأ يتحدث فى هذه الكلمات :

— إن أعضاء « الأكاديمية » الموقرين ، ليشرفهم أن يضعوا عند درجات عرشكم المكين ، هذا المؤلف الفذ ، الذى يضم تاريخ الشعوب والرجال ، والذى لم يكن ليخرج إلى نور الوجود ، لولا التفات جلالتكم إلى ضرورة التأليف فى موضوعه ؛ ولقد خرج هذا التاريخ العالمى — يا مولاى — مستتم الحلقات ، مستكمل الفصول ، فليس من المغالاة أن نقول : إنه سفر — فى بابه — فريد !

— إننى لعاجز — بحق — عن التنويه بالجهد الذى استنفدتموه ياسادة ! ولكن ... ألا ترون معى أن رعاية شئون حكومتى ، تقتضينى ألا أتشاغل عنها بالانقطاع لاستظهار مثل هذا التاريخ الكبير ؟!

ومن ناحية أخرى ... ألا ترون معى أننى — بعد انسلاخ هذه السنوات الطويلات التى كنتم أثناءها تعملون — قد بلغت « منتصف طريق الحياة » على حد تعبير أحد الشعراء الفارسيين !

وبافتراض أننى كنت من المعمرين ، فإن ذلك لا يفى استحالة قراءة سفر بالغ الضخامة كهذا السفر الجليل !

ولا أحسبنى قد جانبت الصواب ، حين قدرت — للوهلة الأولى التى استعرضت فيها عيناى أجزاء هذا الكتاب — أن مصيره القبوع كالجثة الهامدة فى خزانة كتبى !

لهذه الأسباب متآزرة — وددت لو تكرمتم بمحاولة اختصاره ، مستهدفين أن تجعلوه فى مقداره فى مضاهاة الحياة البشرية القصيرة !

* * *

فاشتغل العلماء — عشرين سنة أخرى — بالتضييق — قدر الطاقة — من مشتملات الكتاب الضخم ... الهائل الحجم ، نزولاً منهم على رغبة الملك ؛ وإذ حققوا ما أراد ، توجهوا إليه — للمرة الثانية — فى قافلة صغيرة من ثلاثة جمال ، محملة أسفارها بألف وخمسمائة جزء من السفر العظيم !

وقال « سكرتير الأكاديمية » :

هذا هو يامولاى عملنا الجديد ، نقدمه بين يديكم الساعة ، ونحن على بينة من أن هذا الاختصار ، لم يمس قط جوهر الكتاب ، ولم يهبط قط بمستواه .

فأجاب الملك :

— هذا بديع ... ولكن ، يؤسفنى ، ويحز فى نفسى أن أصارحكم القول باستحالة قراءة هذا التاريخ الجامع بالرغم من هذا

الاقتضاب .. ذلك أنني قد هرمت ، وغدا مما يهبط شيخوختي ريوهن من أنسجة بدني ، أن يفرغ ذهني الكليل للجهود الكبيرة ، فعسى ألا أكون قد كلفتكم شططاً لو رجوتكم — للمرة الثانية — أن توجزوا ... وتمعنوا في الإيجاز ، وأن تجملوا بالكم إلى تركيز المباحث وحذف الفضول !

لم يسع هؤلاء الرجال الثائرين إلا الإذعان ، فاشتغلوا — للمرة الثالثة — بإخراج السفر الكبير ، إخراجاً جديداً ، وسلخوا في ذلك عشر سنوات ، هبط بعدها عدد أجزائه إلى الخمسمائة .

وقال « السكرتير » مبتهجاً :

— أعتقد يامولاي أننا قد نجحنا — هذه المرة — في مهمتنا

فقال الملك مبتسماً :

— لا يتمكن في قلبك اليأس أيها السيد اعتقادي عكس ما تظن — إنني اليوم في خريف العمر أيهذا العالم الجليل ، فإذا رغبت إليك — للمرة الأخيرة — أن تنصرف وزملائك إلى معاونتي في تحقيق أمنيتي في مراجعة تاريخ عظماء الرجال قبل أن يدهمني الموت ، فعسى أن تنهضوا بتكرار المحاولة غير آسفين ولا قانطين ! وإني لفي الانتظار .!

تجرمت خمس سنوات ، عاد بعدها « سكرتير الأكاديمية » إلى قصر الملك . كان قد هده الكبر وقوست ظهره السنون ؛ وكان — وهو يرقى سلاليم القصر — يضم إلى صدره — بذراعين ممروقتين واهنتين — سفراً كبيراً ضخماً !

واقيه أمين الملك ، فصاح به في نبرة لهيفة ... حزينة :

حث الخطى أيها الشيخ ؛ إن الملك يحتضر ..!

كان الملك يرقد على فراش الموت ، في رعاية أملاكه ، يعالج آخر سكراته ؛ فاستدار في إعياء ، ونظر بعينين خبا فيهما بريق الحياة ... إلى العالم وسفره الضخم ، ثم غمغم في تثاقل وصدره يموج بالتنهدات : هأنذا أموت ، دون أن ألم بتاريخ الرجال !

فسكت العالم برهة ، إجلالاً لرهبة الموت ، ثم رفع رأسه في بطء وعيناه مخضلتان بالدمع ، ليقول للملك المحتضر ... آخر ما صك أذنيه من كلمات :

— أيها الملك لقد ناشدتنا — غير مرة — أن نجمل لك تاريخ الرجال الأبطال الذي قضوا كما تقضي أنت الساعة . ألا فاعلم — أيها الملك العظيم — أن تاريخ هؤلاء الأبطال ليوجزن في هذه الكلمات : لقد ولدوا ، وتألموا ، ثم ماتوا !

عبد العزيز السكروانى

وزارة المعارف العمومية

منطقة شبين الكوم التعليمية

قلم المستخدمين — إعلان

تعلن منطقة شبين الكوم التعليمية حاجتها إلى محضرين وكتبة ويشترط فيمن يرغب التعيين في هذه الوظائف الشروط الآتية : —

١ — أن يجتاز امتحان المسابقة الذي سيحدد ميعاده ومكانه فيما بعد وسيكون هذا الامتحان في سياقة الأجهزة وتحضيرها بالنسبة للمحضرين .

وفي الإنشاء العربي والترجمة لإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية وفي الكتابة على الآلة الكاتبة للكتبة .

٢ — أن يكون حاصلا على إحدى الشهادات الآتية : —

دبلوم الفنون والصناعات . شهادة الدراسة الثانوية القسم الثاني (علمي) أو القسم الخاص (شعبة العلوم) لوظائف المحضرين .

أما الوظائف الكتابية فيكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان أو القسم الخاص أو دبلوم التجارة المتوسطة .

٣ — يكون التعيين في الدرجة السابعة أو الثامنة الفنية أو الإدارية بأول مربوطها حسب المؤهل .

٤ — أن يكون مصري الجنسية لا تزيد سنه على ٣٠ سنة ولا تقل عن ١٨ سنة .

٥ — أن تتقرر لياقته للخدمة طبياً بمعرفة القومسيون الطبي العام .

٦ — تقدم الطلبات على الاستمارة ١٦٧ ع ح باسم حضرة صاحب العزة مراقب منطقة شبين الكوم التعليمية مصحوبة بالمؤهل الدراسي أو ما يثبت الحصول عليه ، وشهادة الميلاد وصورتين شمسيتين مقاس ٦ × ٩ في ميعاد غايته يوم الأحد ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

٢٩٤

سكك حديد الحكومة المصرية

عربات فاخرة مكيفة الهواء

السفر الممتع المريح متوفر فى العربات الفاخرة مكيفة الهواء مقابل دفع ٣٠٠ مليم علاوة على أجرة تذكرة الدرجة الأولى خالصة رسم الحجز .

تسير هذه العربات فى اكسبريسات مصر — الأسكندرية وبالعكس فى القطارات التالية :

من مصر الساعة ٤٥ ر ٧ والساعة ٣٠ ر ١٢ والساعة ١٨

من الاسكندرية الساعة ١٥ ر ٧ والساعة ١٢ والساعة ٣٠ ر ١٧

وكذلك تسير عربات مكيفة الهواء فى الوجه القبلى فى قطارى الاكسبريس رقم ٨٠ ورقم ٨٣

مطبعة الرسالة